
الإعلام
والتربية
عبدالعزيز الشريف
الجنادرية

معلومات الكتاب

إعداد: عبدالعزيز خالد الشريف

دار يــافــا العلمية للنشر والتوزيع
الأردن – عمان – تلفاكس 00962 6 4778770
ص.ب 520651 عمان 11152 الأردن

E-mail: dar_yafa @yahoo.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين عليه وآله أتم الصلاة وأفضل التسليم، نحن نعيش في عالم متسارع نكاد نعجز أن نلحق به وفيه كماً رهيباً من الكتنولوجيا والإختراعات والإبتكارات التي ساعدت البشرية بالنهوض لترقى وتنمو ليصبح عصرنا عصر تكنولوجي بامتياز.

كل هذا التغيرات لها جانب آخر وهو التأثير على أبنائنا وفلذات أكبدانا، فلقد أعطيناهم الفرصة للتواصل مع العالم بما فيه من ثقافات دون حدود أو ضوابط وهذا ما سيعالجه هذا الكتاب بإذن الله.

سنتطرق إلى موضوع الإطفال بشكل خاص وأجيالهم وتربيتهم وتأثير الوسائل الإعلامية عليهم وخاصة التلفاز والإنترنت وطريقة تعاطي الأبوين والأسرة والمدرسة والمجتمع بشكل عام مع هذه التأثيرات المشكلة لشخصية الطفل ونشئته.

نسأل الله التوفيق والسداد وأن يجعل هذا المرجع الوسيلة الصحيحة والمناسبة لتقويم سلوك أبنائنا وتعاطي الأهل مع هذا العصر.

والله الموفق

الفصل الأول

مقدمة

الثقافة هي المعبـر الحقيقي عما وصلت إليه البشرية من تقدم فكري، فمن خلالها يتم رسم المفاهيم والتصورات كما يتم رسم القيم والسلوك.

وقد ارتبطت الثقافة بالوجود الإنساني ارتباطاً متلازماً تطور مع الحياة الإنسانية وفقاً لما يقدمه الإنسان من إبداع وإنتاج في شتى المجالات،فالثقافة هي "المنظومة المعقدة والمتشابكة التي تتضمن اللغات والمعتقدات والمعارف والفنون والتعليمات والقوانين والدساتير والمعايير الخلقية والقيم والأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية والمهارات التي يمتلكها أفراد مجتمع معين"

وقد وعي الإنسان أهمية الثقافة في تكوين ذلك الوعي فأسس وجودها عبـر السنين من خلال التراكم النوعي والكمي للفعل الثقافي والإنساني، فما تركته الثقافات القديمة كالمصـرية والفارسية والإغريقية يُعدّ صورة واضحة لذلك الفعل الثقافي عبـر مراحله وعصوره، وجاءت الأديان السماوية والتي خُتمت بـرسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم لتعطي هذه الثقافة بُعدها الروحي وتعيدها إلى مكنونها الأخلاقي وتنقيها مما لحق بها من الشوائب التي انحرفت بالثقافة عن رسالتها الإنسانية، مصداق ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق".

وما زالت الثقافة هي المحرك الأساس للفعل الإنساني، فمقياس تحضـر الأمم ورقيّها مرتبط بتقدمها الثقافي بكل دلالات اللفظ ومحتوياته، وهذا ما تشهد به المدنية المعاصـرة فالأمم المتقدمة في عالمنا هي التي استطاعت أن تأخذ بتلابيب الثقافة في كافة جوانبها الإنسانية والعلمية وأن تحول وعيها الثقافي إلى فعل عام تتقدم به على غيرها، على الرغم من الخلل الذي يلف بعض جوانب ثقافتها.

فالسيطرة العالمية المعاصـرة على واقع الشعوب ليست سيطرة عسكرية أو اقتصادية فقط بل هي نسيج من السيطرة الثقافية سواء كان ذلك في حياتها الاجتماعية أم الاقتصادية أم السياسية أم التربوية، إذ أصبحت "نمطية" الحياة لدى بعض الشعوب صورة متكررة لشعوب أخرى في فعلها الثقافي على الرغم من أنها لم تخضع لاحتلالها العسكري أو لهيمنتها الاقتصادية، وما ذلك إلا لغلبة ثقافتها وانتشارها مستغلة التقدم العلمي والتقني المعاصـر والذي يسـر لها سـرعة الوصول إلى أطراف الدنيا في مشهد " خلدوني " يتبع في المغلوب شأن غالبه ؟.

إن ذلك يشير إلى أن المجتمعات إنما هي صور ثقافية كما عبـر عنها "توماس اليوت" في تعريفه للثقافة، أو أنها تحتفظ ـ أي الثقافة ـ ببعدها الاجتماعي كما يرى ذلك "تيري إيجلتون" في كتاب: "فكرة الثقافة".

ولقد اختلفت تعريفات المفكرين والفلاسفة حول مفهوم الثقافة بصفة عامة، فقد عرّفها (ثومبسون Thompson -2001) بأنها مميزات أو خصائص جماعة تتضمن القيم والمعتقدات ومعايير السلوك التي تختلف في عضوية جماعة أخرى وتساعد على تمييز هذه الجماعة عن جماعة أخرى، أما (أمرود Omrod) فيعرّفها بأنها "نظم السلوك والمعتقدات التي تميّز جماعة اجتماعية" ويرى (آرندس Arends 2004) أنها "تصف الطريقة الكلية لحياة جماعة بتاريخها واتجاهاتها وقيمها، والثقافة تُتَعلّم، وليست ثابتة، وتتغير بشكل مستمر، والثقافات لا تمثل الجماعات، وإنما هي ما أوجدت من قبل الجماعات".

ولقد كان عالم الاجتماع "روبـرت بيرستد" أكثر وضوحاً حين عرّف الثقافة بأنها "هي كل ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع".

وتتكرر رؤية الثقافة ببعدها المجتمعي عند عدد كبير من علماء الاجتماع والتربية أمثال "لويس دوللو" و"كارل مانهايم" و"رايموند ليامز" صاحب كتاب "الثقافة والمجتمع-1956" و"ماثيو أرنولد" صاحب كتاب "الثقافة والفوضى" و"ف.ر.ليفيس" صاحب كتاب "الثقافة والبنية ـ 1933" و"دينيس تومبسون" وغيرهم من علماء الاجتماع والباحثين.

ولعل علماءنا العرب والمسلمين سبقوا في دراسة ارتباط الثقافة بالمجتمع منذ عصور مضت يقف في مقدمة ركبهم مؤسس علم الاجتماع العلامة ابن خلدون مروراً بعدد كبير من علماء الاجتماع ولعل أبـرزهم في السنوات الأخيرة المفكر الجزائري مالك بن نبي وعالم الاجتماع علي الوردي وغيرهم.

إن ارتباط الثقافة بالمجتمع ارتباط متلازم، إذ لا يمكن أن نفهم مجتمعاً إلا بفهم ثقافته، كما لا يمكن أن نفهم ثقافة أي مجتمع إلا بفهم المجتمع ذاته، سوء كان ذلك في جوانبه الثابتة كالأديان والقيم الأخلاقية، أم في جوانبه المتطورة والمتغيرة كالإبداع والفن والأدب والإنتاج العلمي وغيرها من الأفعال الثقافية المتطورة والتي هي أسـرع تغيُّرا ومواكبةً للمرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع.

و قد تأكد الدور الاجتماعي للثقافة من خلال:

التأثير القيمي والأخلاقي والسلوكي للثقافة في حياة الفرد في التصـرفات والسلوك إذ يعبـر عن ثقافة الفرد ورؤيته لذاته وللأشياء من حوله وبمقدار الوعي الثقافي لدى الفرد يزداد دوره في الحياة وتزداد رسالته الإنسانية نحو مجتمعه والآخرين.

للثقافة دور كبير في التواصل الإنساني على مر التاريخ، فقد استطاع الإنسان أن يبتكر ويطور آليات ثقافية متجددة ونامية حقق من خلالها معرفة واسعة بالحياة وتعزز هذا الدور من خلال الوسائل الحديثة التي توّجت بثورة الاتصالات والمعلومات، التي جعلت التواصل الإنساني أكثر قدرة على اختراق الحواجز والجسور بين البشر مما زاد معرفتهم بانفسهم وبغيرهم.

تزايد الإدراك لدور الثقافة في تغيير اتجاهات الرأي العام المحلي والعالمي، من خلال التأثير غير المباشر للفعل الثقافي في حياة الشعوب، ولقد تعزز دور الثقافة على المستوى العالمي في العقود الأخيرة من خلال إنشاء عدد من المنظمات والمؤسسات الثقافية العالمية والإقليمية ولعل المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) تأتي في مقدمتها، وعلى المستوى الإقليمي تبـرز المنظمة العربية والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها من المؤسسات التي تشكل أدوات وآليات للفعل الثقافي الدولي والإقليمي.

و إذا كانت الثقافة تتبوأ هذه المكانة في حياة الأمم والشعوب والمجتمعات والأفراد، فإن التربية والإعلام هما البوابتان اللتان تلج الثقافة من خلالهما إلى الفرد في أي مجتمع، فالتربية وثيقة الصلة بالثقافة ويؤثر كل منهما بالآخر ويتأثر به، فالتربية هي الميدان الذي يتم من خلاله صياغة الشخصية الإنسانية بكل مقوماتها العقدية والأخلاقية والسلوكية، وهي المعايير الأساسية في بناء ثقافة الفرد من خلال ما تقدمه التربية من مناهج ونماذج وخطط وبـرامج ومعايير تقويم وقياس، ومن خلال التفاعل الذي تشكله البيئة التربوية التي تكوّن الرؤى والتصورات والقيم لدى الفرد، وتصوغ سلوكه وأخلاقه ومعاملته وعلاقته بالآخرين، وبمقدار ما تصوغ التربية شخصية الفرد تأتي مخرجات هذه العملية إيجابية أو سلبية.

ولا يقل ارتباط الثقافة بالإعلام عن ذلك، فهو الناقل للثقافة والمعبـر عنها بصورها المتعددة، بل إن الفعل الإعلامي يحمل بداخله مضموناً ثقافياً أيًّا كان هذا المضمون، وهذا يبيّن أهمية ودور الإعلام في تغيير كثير من التصورات والمفاهيم لدى الأفراد والشعوب، وقد ساعد على ذلك سـرعة وتطور انتشار وسائل الإعلام المختلفة، فالفضاء يعج بمئات المحطات التلفزيونية والإذاعية، وتمتلئ المكتبات بآلاف الصحف والمجلات التي تصدر كل يوم، وقد أضاف الإعلام التكنولوجي بُعداً جديداً لذلك بحيث أصبحت الموارد الإعلامية شلالا يتدفق بكل محتوياته الإيجابية والسلبية، التي لا يمكن وقفها إلا من خلال التكامل بين التربية والإعلام بما يشكلانه من ثقافة مشتركة لدى الفرد، وإذا كان التناقض هو السائد على الجانب الأعم من العلاقة فإن التكامل بينهما ليس بالأمر المستحيل أو الصعب.

إن التربية والإعلام يشكلان المنطلقين الأساسيين لتكوين الثقافة لدى الفرد.

فالثقافة التربوية هي: "المضامين الثقافية التي يتلقاها الفرد والجماعة من المصادر التربوية وتشكل معتقداتهم وتصوراتهم ومفاهيمهم وقيمهم التي تؤثر في تكوين سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم ".

أما الثقافة الإعلامية فهي: " المضامين الثقافية التي يتلقاها الفرد والجماعة من المصادر الإعلامية وتشكل معتقداتهم وتصوراتهم ومفاهيمهم وقيمهم التي تؤثر في تكوين سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم ".

و يلاحظ أن كلا الثقافتين ذات مصادر محددة، وكلاهما مكوّن للمعتقدات والتصورات والمفاهيم والقيم، وكلاهما مؤثر في تكوين السلوك والتقاليد وأنماط الحياة، إلا أنهما يختلفان في مصادرهما سواء كان هذا الاختلاف في طبيعة المصدر أم في المضمون الثقافي الذي يحمله.

أولا: مصادر الثقافة التربوية:

إذا كانت المؤسسات التربوية تهيئ لطلابها وطالباتها الخطط والبـرامج التعليمية والتدريبية لما لهذه الخطط والبـرامج من أهمية في تحصيل الطلاب والطالبات للمواد العلمية التي جاءوا لدراستها، فإن هناك جانباً آخر لا يقل أهمية عن ذلك، ألا وهي مصادر الثقافة التربوية لدى هؤلاء الطلاب والطالبات، إذ أن ما يقدم داخل قاعات الدرس والمختبـرات والمعامل لا يمثل إلا جزءاً من عملية التربية التي يجب أن يتلقاها الطلاب والطالبات، ولعل أبـرز مما تعنى به المؤسسات التربوية هو رفع المستوى الثقافي لطلابها وطالباتها من خلال توفير فرص التثقيف وإيجاد رؤية تثقيفية نقدية لديهم حتى يستطيعوا أن يتعاملوا مع المؤثرات الثقافية في المجتمع، وذلك من أصعب المهمات أمامها إذ أن تشكيل الرؤى الثقافية يتم من قبل من خلال مؤثرات كثيرة، وتأتي هذه الرؤى ـ في بعض الأحيان ـ محملة بكثير من المعوقات التي تحد من دور المؤسسة التربوية في تكوين التصورات والأفكار الثقافية لطلابها وطالباتها، إذ يأتي هؤلاء وقد تأثروا بمؤثرات كثيرة لعل من أبـرزها الأسـرة والمدرسة والأصدقاء وغيرهم.

ولذلك فإن من أهم مصادر الثقافة التربوية ما يلي:

الأسـرة:

إن الاهتمام بالأسـرة يعني الاهتمام بكل مجتمع، فإذا أنشئت هذه الأسـرة على أسس وقواعد ثابتة راسخة من القيم والفضائل فإنها بذلك تبني المجتمعات بلبنات قوية متماسكة لا تؤثر فيها عواصف الزمن ولا متغيرات الأحداث. أما إذا أهملت الأسـرة دورها في التربية والتقويم فإن أفراداً في المجتمع يتخرجون من هذه الأسـرة لا يمكن أن يساهموا في بنائها بل يكونون عوامل هدم وتخريب ولا يمكن أن تنشأ المجتمعات بمثل هذه العناصـر الهزيلة.

وقد اهتمت الشعوب والأمم بتكوين الأسـرة على قواعد ثابتة حتى تستطيع أن تربي أجيالاً قوية، ولعل أهم أدوار الأسـرة في تكوين الثقافة التربوية يبـرز في الاهتمام بالجانب الأخلاقي والسلوكي وفي تعليم الأبناء الفضائل والمبادئ الخلقية الرفيعة وإرشادهم إلى السلوك المستقيم، وهي من أهم الواجبات التي يمكن أن تقوم بها الأسـرة فهي التي تستطيع أن

تترجم المعاني الخلقية إلى أفعال وسلوك بممارستها لهذه الأفعال أمام الأبناء فيكتسبون منها ذلك ولا يمكن لأي مؤسسة أو فئة أو محضن تربوي أن يقوم بدور الأسرة، وإذا حدث ذلك فإنما هو خلل في الأدوار لا بد من معالجته. ولعل أبرز جوانب التربية الخلقية هو القدوة من خلال الوالدين، حيث أنهما يعتبران النموذج والقدوة أمام الأبناء.

وقد حث الإسلام على الاهتمام بالجانب الخلقي فجعل النموذج الأمثل للقدوة هو محمد صلى الله عليه وسلم، حيث وصفه القرآن الكريم بقوله: " وإنك لعلى خلق عظيم " وقال عن نفسه: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

وقد حث الإسلام الآباء على الاهتمام بالجانب الخلقي عند أبنائهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن " .

بل جعل الإسلام من التنشئة على حسن الخلق وجباً للأبناء على الآباء فقال عليه الصلاة والسلام: "من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه" .

"و من المسلم به أن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية، وأن الوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية.. فالغرض الأول والرسمي من التربية تهذيب الخلق وتربية الروح، وكل درس يجب أن يكون درس أخلاق، وكل معلم يجب أن يتصف بالأخلاق المحمودة التي يكون بها المعلم مثاليا في تديّنه وسمته، والخلق النبيل عماد التربية في الإسلام".

فالقدوة الحسنة في التربية، هي من أنجح الوسائل المؤثرة في سلوك الأبناء، سواء كان ذلك في الجانب الخلقي أو الجانب العملي، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً".

وقال تعالى إشارة إلى ضرورة القدوة حثاً للمسلم بالاتصال بالصالحين: "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده".

كما يبرز دور الأسرة في الاهتمام بالسلوك الاجتماعي حيث يعيش الأبناء في مجموعة بشرية معينة وعليهم أن يتعرفوا على هذه البيئة حتى يستطيعوا أن يعيشوا معها ويتجاوبوا مع ما تطلبه منهم ويستطيعوا أن يأخذوا منها ما يحتاجون إليه، ولذلك لا بد للأبناء من سلوك اجتماعي يتعاملون به مع الآخرين، وهذا السلوك إنما يأتي بصورة رئيسية من الأسرة التي تدربهم وتعلمهم على ذلك.

و تأتي تنمية الجانب الثقافي كدور آخر للأسرة، فهو جانب مهم في حياة الإنسان الذي يراد له أن يكون إنساناً سوياً، وبالتالي لا بد له من ثقافة ومعرفة يتلقاها في صغره حتى يكبر عليها وينشأ محباً لها عاملاً بها.

فمن خلال الأسرة تتكون القيم والمفاهيم الثقافية الأولى للفرد ويستمد منها معرفته الثقافية بدءاً من معاني المفردات والكلمات إلى الحكم على الأشياء بالصواب والخطأ.

وقديما قال أبوالعلاء المعري:

و ينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

ولعل أهم الأدوار الثقافية للأسرة مراقبة ما يقدَّم للأبناء من خلال وسائل الإعلام، فالأسرة لا تستطيع أن تمنع ما يقدَّم في هذه الأجهزة إلا أنها تستطيع أن تراقب ما يقدَّم لأبنائها من برامج إعلامية، لأن في بعض هذه البرامج ثقافة وفكراً لا تتفق مع ما تهدف إليه الأسرة من التربية السليمة لأبنائها.

والأسرة ـ كذلك ـ مرجع لثقافة الطلاب والطالبات، فما زال كثير منهم يلجأ إلى أسرته للتعرف على ما يحتاجه من ثقافة معينة أو معلومة جديدة خاصة إذا كانت هذه الأسرة تعنى بالثقافة.

إلا أن دور الأسرة بدأ يتراجع لصالح مؤثرات أخرى كوسائل الإعلام والمؤسسات المجتمعية، فبسبب التحول الاجتماعي الذي طرأ على أطوار كثير من مكونات المجتمع ووحداته فقد أصبحت الأسرة مشدودة إلى مؤثرات كثيرة، مثل طول ساعات العمل للوالدين أو أحدهما والاهتمام بقضايا حياتية كتوفير مصادر الدخل والعلاقات الاجتماعية، واقتصار حجم الأسرة على الأسرة النووية بما لها من دور محدود، وتراجع الدور الواسع والمؤثر للأسرة الممتدة، ودخول عوامل مؤثرة جديدة داخل الأسرة وهي جهاز التلفزيون أو الكمبيوتر، كل ذلك أثر على هذا الدور فأصبحت ساعات التواصل بين الأسرة محدودة أو قليلة، وأصبح الأبناء يبحثون عن إجابة لتساؤلاتهم في أجهزة الإعلام كالإذاعة والتلفزيون وشبكة الاتصالات وشبكة المعلومات وغيرها من مصادر المعرفة، وقد أدى ذلك كله إلى إضعاف دور الأسرة في تكوين الثقافة التربوية للأبناء.

المعلم:

يعتبر المعلم محور العملية التعليمية إذ أن جميع العوامل الأخرى كالمنهج والكتاب والوسائل المساندة لا تستطيع التأثير أو تطوير مسيرة التعليم دون أن تمر من خلال المعلم، فهو يقوم بصياغة تفكير الإنسان وتربيته وتطوير مهاراته فالمعلم هو القائد والمحرك للعملية التعليمية.

ومن هنا تأتي أهمية الاهتمام به بما يتناسب مع دوره الملقى عليه وهو النيابة عن الأنبياء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "العلماء ورثة الأنبياء " إن أثار المعلم واضحة على التعليم والمجتمع.

إن مهنة التعليم هي المهنة الأم كما يعبر عنها (Chandler) شاندلر فهي The Mother Profession، كما أنها المصدر الأساسي لبقية المهن. وهي كما يقول "فردريك ماير “Fredrich Mayer" المهنة التي من خلالها يحاول المعلمون أن يجددوا وأن يبتكروا وأن ينيروا عقول طلابهم وأن يوضحوا الغامض ويكشفوا الستار عن الخفي، كما أنهم يحاولون أن يربطوا بين الماضي والحاضر، وبين الطيب والرديء وكل ذلك بهدف أن يبينوا لطلابهم الطريق السوي والمعلمون بعملهم هذا إنما يخلقون في نفوس الأجيال الناشئة الأمل واليقين ويبينون لهم الغث من السمين إنهم باختصار يتركون آثاراً عميقة وتغييرات لا تنمحي من حياة المجتمعات التي يعملون بها، كم أنهم من جانب أخر يسهمون بلا حدود في رفاهية مجتمعاتهم وفي ربط أبناء أمتهم بعضهم إلى بعض من خلال توحيد أفكارهم، وبالتالي مشاعرهم إنهم في حقيقة الأمر يعتبرون أن عملهم في مهنة التدريس هو خير ما يمكن أن يقدموا لمجتمعاتهم، وليس هذا فحسب، بل إنهم بعملهم هذا إنما يسهمون في تشكيل مستقبل تلك المجتمعات بتشكيلهم لشخصيات الشباب منذ نعومة أظافرهم، هؤلاء الشباب الذين يحملون عبء المسؤولية في مستقبل أوطانهم وشعوبهم.

إن الاتجاه العالمي في التربية الحديثة يذهب إلى إعطاء المعلم أدواراً أكثر من مجرد الأداء للمادة العلمية إذ يتطلب منه أن يقوم بأدوار شتى كتعليم الطالب طريقة التعليم وليس التعليم وحده، كما يطلب منه أن يتابع المستجدات الحديثة في ميدانه ويطور إمكانياته ومهاراته المهنية والتركيز على البحوث العلمية الميدانية وعدم الاكتفاء بالتلقين النظري خاصة مع تسارع المستجدات العلمية الحديثة وتطور وسائل التقانة مما يفترض معه قدره المعلم على التعامل مع هذه التقانة، أو تنمية مهاراته كما عرفها "هندرسون Handerson " بأنها أي شئ يحدث للمعلم من أول يوم يلتحق فيه بالمهنة إلى اليوم الذي يتقاعد فيه عنها، بحيث تسهم هذه الأشياء وبصورة مباشرة أو غير مباشرة في الطريقة التي يؤدي بها واجباته المهنية "

لقد خرج المعلم بدوره إلى ميدان أوسع من ميدان التعليم إلى ميدان التربية، وبهذا يعود المفهوم الشمولي الذي دعى إليه الإسلام في قيام المعلم بهذا الدور إذ لم يفصل بين الفكرتين بل دعى إليهما باعتبارها وجهان لعملة واحدة، بل تكاد التربية تسبق التعليم، يقول تعالي "كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون" ولذا شاع القول المشهور "لولا المربي ما عرفت ربي" واستمع إلى الإمام الغزالي وهو يصف المعلم ودوره فيقول " فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت المساء، سيصبح كالشمس التي تضئ لغيرها وهي مضيئة في نفسها، والمسك الذي يطيب عبيره وهو طيب ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً وليحفظ آدابه ووظائفه ".

وهذا عمر بن عقبه يقول لمعلم ولده " ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، روّهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب شغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وأخلاق الأدباء، وكن لهم كالطبيب الذي يعالج بالدواء حتى يعرف الداء".

ولذا فالمعلم الذي يؤمل أن يقوم بهذا الدور هو المعلم المطبوع وليس المعلم المصنوع وفق ما يعرف هانت ولورنس Hunt and Lawrence أي المعلم الذي طبع على عملية التربية والتعليم فأصبح ذلك جزء من حياته وطبعه وليس ذلك المعلم الذي "يصنع صناعة" ليصبح معلماً حيث أن هذا الدور ليس دوراً تكفي فيه الدربة والصناعة بل لا بد من مميزات وسمات ذاتية ترقى بالإنسان إلى أن يكون في منزلة المعلم، لذلك فإن أمثال هؤلاء المعلمين هم الذين يتركون أثراً واضحاً على العملية التعليمية، كما يقول "جون لاسكا John A. Laska في كتابه “Schooling and Education" (التمدرس والتربية) حيث يذكر "أن المناهج تكاد تكون واحدة في معظم مدارس البلد الواحد، وكذا الكتب التي تعالج تلك المناهج بالإضافة إلى أن المباني المدرسية تكاد تتشابه، إن لم تتطابق، ولكن المخرج أو الناتج من هذه المدارس متمثلاً في الخريجين من الطلاب، وما حصلوا من علوم ومعارف ومهارات، وما اكتسبوا من صفات جديدة أضيفت إلى شخصياتهم التي دخلوا بها المدارس من قبل، هذا الناتج يختلف من مدرسة إلى أخرى، ويستنتج الرجل أن العنصر الفعال والفارق المميز في الحالتين هو بلا شك، المعلم والدور الذي يقوم به، ذلك أنه يترك بصماته الواضحة على العملية التربوية بشكل لا يقبل الجدل(15).

لكن هذه الصورة المثالية ليست منطبقة في بعض الأحيان على المؤسسات التعليمية العربية في كثير من البلدان.

إذ مازالت العلاقة بين الأستاذ والطالب في عالمنا العربي تعتريها حالات من التردد، فصورة الأستاذ أو المعلم في ذهن الطالب هو ذلك الإنسان المتعالي المتشدد في معاملته قليل الابتسامة، يستخدم مصطلحات وكلمات لا يستوعب الطلاب كثيراً منها، ويقيم حاجزاً نفسياً بينه وبينهم، لا علاقة لهم به خارج قاعة الدرس. إلى غير ذلك من الصور السلبية التي يرسمها الطلاب عن أساتذتهم ومازالت مخيلة الذين درسوا في المؤسسات التعليمية العربية تحتفظ بنماذج من هؤلاء الأساتذة على الرغم من الإقرار لهم بالفضل والعلم؟؟ وإذا كانت هذه الرؤية لدى الطلاب فإن رؤية الأساتذة لطلابهم لا تقل (سوداوية) عنه إذ هم يرون في طلابهم مجموعة من الأشخاص الذين لا يسعى معظمهم للعلم وتحصيله بل للحصول على الشهادة العلمية بقليل من الجهد وأن هذا الجيل ليس كالأجيال السابقة في جدّه واجتهاده، وقليلاً ما يتميز بعض الأساتذة بعلاقات جيدة مع طلبتهم، ويساعد على ذلك أن قوانين وأنظمة المؤسسات التعليمية لا تنظم مثل هذه العلاقة من خلال قاعات الدرس أو ما شابهها، كما أن إعداد الأساتذة والمعلمين ـ في الغالب ـ لا يتضمن طرائق التعامل مع الطلبة وإنما تجعل ذلك وفقاً للأنظمة واللوائح ووفقاً لاجتهادات الأستاذ أثناء أدائه للخدمة. ومن هنا نشأت حالة من الانفصام بين الأستاذ أو المعلم من جهة وبين طلبته من جهة أخرى وتراجع دور المربي والقدوة إلى دور آلي خال من الروح الإنسانية، ويكون الضحية في ذلك هو الطالب والطالبة الذي جاء إلى المؤسسة التعليمية مثقلاً بكثير من الأسئلة التي يحتاج إلى إجابة لها كما جاء بقيم وأفكار ومعتقدات ومفاهيم تحتاج من الأستاذ والمعلم إلى تصويبها أو تأكيدها خاصة وأنه يعيش في نظام تعليمي يفتقد في كثير من جوانبه إلى حرية التعامل والحوار،

كما يفتقد إلى أسس التعلم الذاتي الصحيح، والتي هي أهم ركائز التعليم.
إن دور الأستاذ أو المعلم في علاقته مع الطالب قد تجاوز الأطر التقليدية التي كانت سائدة في المؤسسات العربية وبدا واضحاً أهمية تطوير هذه العلاقة من خلال وضع أسس جديدة تتلاءم وروح المتغيرات المعاصرة التي تقوم على تعدد مصادر المعرفة العلمية للطالب، فلم يعد الأستاذ يشكل المصدر الأساسي للتعليم والتثقف، كما كان عليه الحال قبل عقود مضت بل أصبح دور الأستاذ أو المعلم هو مساعدة الطالب للوصول إلى مصادر المعرفة من خلال تنمية الرغبة في التعليم والبحث ورفع دافعيته لذلك، بعيداً عن ارتباط التعليم بتحقيق الغايات المحدودة للطالب –خاصة في مجتمعات الخليج العربي- إذ أن دافعية الطالب المحدودة للتعليم قد تراجعت –بصفة عامة- بسبب تغيير النظم الاجتماعية والاقتصادية إذ شكلت الوفرة المادية حاجزاً دون تنمية الرغبة في التعليم ولذا نجد بعض الطلاب يأتي للمؤسسة التعليمية من أجل الحصول على الشهادة العلمية كمكانة اجتماعية دون أن يكون العلم هدف لذاته، كما أن فئة أخرى جاءت من أجل الحصول على الشهادة العلمية كمدخل للعمل الوظيفي، ومع أهمية الهدفين السابقين إلا أن ذلك يحد من رغبة الإنسان ـ طالباً كان أم غيره ـ في الحصول على العلم والمعرفة لذاتهما، وهنا يأتي دور الأستاذ أو المعلم في معالجة هذه الظاهرة –لا إلغائها- وتغيير رؤية الطلاب للشهادة العلمية وتنمية دافعيتهم للتعلم حتى تبقى هذه الروح مستمرة معهم بعد تخرجهم.

المكتبات التعليمية:

ما زالت المكتبات بصفة عامة والمكتبات في المؤسسات التعليمية بصفة خاصة مصدراً أساسياً من مصادر الثقافة التربوية للطلاب والطالبات، فهي مصدر علمي يسند المقررات الدراسية والتدريبية حيث يجد فيه الطلاب والطالبات مبتغاهم من المصادر والمراجع التي يحتاجونها لدعم دراستهم التخصصية أو أبحاثهم العلمية، وتسعى المؤسسات التعليمية إلى أن تكون مكتباتها ملبية لاحتياج الباحثين فيها سواء كانوا أساتذة أم طلاباً، ولذا فإنها تقوم بتطوير مكتباتها ورفدها بالدراسات والأبحاث والكتب الجديدة، وقد يسرت وسائل التكنولوجيا سبل الاستفادة العلمية من المكتبات خاصة مع توفر الكتاب الإلكتروني أو المكتبة الإلكترونية التي لا تحتاج إلى انتقال مكاني أو ساعة زمنية محددة للاستفادة منها.

و إذا كانت المكتبة مصدراً علمياً أساسياً للطلاب والطالبات فإنها مصدر ثقافي لهم كذلك إذ أنها تخرج من كونها مصدراً مسانداً للعملية التعليمية لتصبح مصدراً للثقافة من خلال ما تحتويه من كتب ومراجع ومصادر مختلفة إلى جانب احتوائها على المجلات العلمية والصحف والبرامج السمعية والبصرية، فهي بذلك جزء من دعم النشاط الثقافي العام ومصدر لثقافة الطلاب والطالبات.

لكن المتتبع لدور المكتبات في المؤسسات التعليمية يجد أن الاستفادة منها كمصدر للثقافة ما زال محدوداً، إذ ما زال طلاب وطالبات المؤسسات التعليمية يعتقدون أن دور المكتبة مقصور على توفير المراجع والمصادر العلمية وأن مصادرهم الثقافية لا مكان لها في هذه المكتبة، ولعل مرجع ذلك إلى (تقليدية) الدور الذي تقوم به بعض المكتبات، إذ يقتصر دورها على توفير الكتب دون القيام ببرامج وأنشطة تخرج بها من هذا الدور إلى الدور الثقافي العام بحيث تشجع الطلاب والطالبات على الاستفادة منها ومن برامجها، وترجع بعض الأسباب إلى الطلاب والطالبات أنفسهم، ومن ذلك:

أ. عدم إدراك الطلاب والطالبات للثقافة كمكوّن أساسي لحياتهم الشخصية، إذ لا يتوقف دور الطالب أو الطالبة بعد تخرجه على المادة العلمية التي درسها، بل يمارس دوراً واسعاً في الحياة يتطلب منه إحاطة شاملة بشؤونها، ومن لم يتسلح بالثقافة العامة والمعرفة إلى جانب التأهيل العلمي والتدريب فلن يستطيع أن يقوم بدوره في الحياة كما ينبغي.

ب. تراجع مكانة القراءة كمدخل للثقافة، فكثير من الطلاب والطالبات لا يقرءون إلا المقررات الدراسية أو ما يكلفهم به أساتذتهم من واجبات، لكن القراءة والمطالعة كرغبة وهواية لم يعد لها ذلك الدور المهم على الرغم من توفر الوسائل المساعدة في ذلك.

إن كثيراً من الطلاب والطالبات لديه الرغبة في القراءة لكنه لا يعرف كيف يبدأ وماذا يقرأ ولا يعرف أساليب القراءة وكيفية الاستفادة مما قرأ، إلى غير ذلك من المعوقات أمامه التي يحتاج معها إلى توجيه وإرشاد يمكنه من الاستفادة من المكتبة.

ج. غياب الاهتمام الثقافي العام والتثقيف الذاتي، إذ أدى تطور الحياة السريع وتشتت الاهتمام في جوانب كثيرة من الحياة وانصراف الإنسان إلى الاهتمام بحياته ومصادر رزقه وضياع كثير من الأوقات، وغياب الاستعداد للعمل الثقافي وتراجع هذا العمل إلى العزوف عن الشأن الثقافي ـ بصفة عامة ـ لصالح مظاهر اجتماعية أخرى،إن المراقب لحال طلاب وطالبات لا يجدهم يختلفون كثيراً عن واقع المجتمع الذي يعيشون فيه، وهم في ذلك غير ملامين، فهم نتاج مجتمعهم أو بيئتهم، وقد تأثروا به وتعودوا على ما عودهم عليه، ومن هنا فإن الشكوى من ضعف المستوى الثقافي لكثير من للطلاب والطالبات ليس إلا تعبيراً عن المستوى الثقافي العام.

ولذا تدني مستوى القراءة ـ وهي المدخل للثقافة بصفة عامة والثقافة التربوية بصفة خاصة، تدنى ـ بحيث أصبحت نسبة من يقرأ منهم قراءات خارج المنهج الدراسة محدودة، تشير إحدى الدراسات (العاني2005) إلى أن "عدد الكتب التي قرأها الطالب في العام الأكاديمي (فترة إعداد الدراسة) 2003/2004 -غير الكتب الدراسية المقررة- (تتفاوت بين الطلبة) فنجد أن أعلى نسبة سجلت لفئة (1-2) كتاب بلغت (37.5%) وأن فئة (3-4) كتب بلغت نسبتها (29%) وفئة (5) كتب فأكثر بلغت نسبتها (25.3%)، فهذه النتائج تشير إلى أن الطالب يقرأ كتباً إضافية ويطالع مطالعات خارجية ولكن لا تزال قليلة جداً في الوقت الذي يتطلب منه أن يقرأ أكثر وخاصة أنه في مرحلة إعداد أكاديمي- تربوي يتطلب منه الاستزادة من طلب المعرفة الموجودة في الكتب والتي لا تتحقق إلا من خلال قراءتها واستيعاب مضامينها بدافع ذاتي، فالقراءة هي مفتاح العلم والمعرفة.

وقد كشفت دراسة أخرى (جوّاس1999) حول المستوى الثقافي للطلاب، نتائج مقلقة،إذ أن معظم الطلاب لا يقرؤون الصحف المحلية مطلقاً، في حين بلغ متوسط ساعات الجلوس أمام التلفاز 6 ساعات يومياً، وكشفت الأسئلة التي تتعلق بالشخصيات العامة عن جهل الطلبة بأسماء شخصيات لها دور وطني بارز، فمثلاً عرف الكثيرون المفكر التنويري عبد الرحمن الكواكبي على أنه صحافي مصري، وسعد زغلول بأنه شاعر سوري والشاعر التشيلي (بابلوبنرودا) بأنه أديب مغربي وهكذا. ولكن الأمر اختلف عند ما تعلق السؤال بمسألة تلفزيونية أو سينمائية، إذ تم السؤال عن جنسية الممثلة الأمريكية " شارون ستون" وعن فلم "غريزة أساسية " كأشهر أفلامها إذ كانت أجوبة أكثر الطلاب صحيحة، وأنحى الطلاب باللائمة على أساتذتهم في ذلك، وعن مسؤوليتهم في أنهم يلقّنونهم معلومات غير صحيحة تدل على جهلهم بالحقائق التاريخية، وأعطى أحدهم مثالاً بأستاذه الذي لا يعرف أن سورية استقلت عام 1946م ؟؟ وفي مصر تقدم لاتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري أكثر من (2000) من خريجي الجامعات للعمل مذيعين ومترجمين ومحررين، ولم ينجح واحد منهم في الاختبار رغم أن الأسئلة كانت تدور حول المعلومات العامة فإن إجاباتهم حملت العجب العجاب منها أن انجلترا عاصمة بريطانيا ومنابع نهر النيل تبدأ من دلتا مصر والسد العالي أنشئ بعد حرب أكتوبر 1973، تركيا دولة عربية ونجيب محفوظ من رواد الواقعية في السينما المصرية؟؟، أما في الكويت فالأمر لا يختلف كثيراً حيث أجرت صحفية الرأي العام الكويتية استطلاعاً على مجموعة من الشباب لقياس مستوى ثقافتهم فتبين أن لديهم معلومات جيدة عن الممثلين واللاعبين وعروض الأزياء والموضة، وبسؤالهم عن كوفي عنان اعتبره59% من العينة حارس مرمى منتخب الكاميرون، وبعضهم اعتبره منظراً شيوعياً، بينما لم يتعرف على عمله الحقيقي كأمين عام للأمم المتحدة (السابق) سوى 23%، أما روجيه غار ودي فأجاب 16% من أفراد العينة أنه لاعب في منتخب فرنسا 1998 م، بينما لم يتعرف عليه سوى 23% من الشباب، أما الشيخ أحمد ياسين زعيم حماس فقد اعتبرته الأغلبية أنه شقيق الممثل الكوميدي إسماعيل ياسين.

ولا تختلف الصورة ـ كثيراًـ في أي أو مؤسسة تعليميةعربية عما ورد في مثل هذه الاستبيانات.

جماعة الأصدقاء:

يشكل الأصدقاء مصدراً للثقافة التربوية بالنسبة لزملائهم خاصة لأولئك الذين لا يجدون مصدراً للإجابة على تساؤلاتهم التربوية والثقافية، فقد أصبح "عالم" الأصدقاء بالنسبة لكثير من الفتيان والفتيات موئلاً مهماً للإباحة لهم بمشكلاتهم، وهو مهم، خاصة وأنهم يجدون فيهم الثقة المناسبة والمقاربة في العمر والقدرة على التجاوب معهم دون تعنيف أو إساءة كما يحدث ـ أحياناً ـ من بعض الوالدين أو المعلمين، ولذا يلجأ بعضهم إلى أصدقائهم للاستفادة من آرائهم وأفكارهم وحلولهم للمشكلات التي تواجههم، خاصة أولئك الأصدقاء الذين يملكون قدراً من المعرفة يميزهم عن أقرانهم، أو يملكون قدرات قيادية يستطيعون من خلالها قيادة زملائهم وأصدقائهم.

إن جماعة الأصدقاء تمارس ـ أحياناً ـ أدواراً تتجاوز دور المدرسة أو الأسرة، يقول (وارنر) (Warner) و(لنت) (Lunt): "إن العضو المراهق أو المراهقة في جماعة الأصدقاء، قد يقف من أسرته موقف التحدي ويعارضها، في سبيل المحافظة على كرامة رفاقه واحترامهم، في حالة تعارض ميول الجماعتين".

و إذا كان الأصدقاء يشكلون مصدراً للثقافة التربوية فإن بعضهم ـ قد ـ يشكل مصدراً للانحراف خاصة تلك المجموعات التي تلتقي على القيام بأعمال منافية للأخلاق أو مخالفة للقانون، مثل تعاطي المخدرات أو الانحرافات السلوكية أو جرائم السرقة أو حتى مشاجرات الطرق، ومن هنا تأتي أهمية وخطورة الثقافة التربوية التي يتلقاها الطلاب من أصدقائهم، ولذا نجد التعاليم الإسلامية تحض على حسن اختيار الأصدقاء، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الجليس الصالح وجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك أو تشتري منه أو تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً نتنة".

وقال عليه الصلاة والسلام: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل".

إن كثيراً من جماعات الأصدقاء تنشئ لها ثقافات خاصة وعلاقات مقيدة، إذ يكون تأثيرها أكبر من المؤثرات الأخرى، لأن التفاعل داخلها يتم اختيارياً وبإرادة حرة عكس ما عليه التفاعل داخل الأسرة أو المدرسة الذي يكون متصفاً بالإلزام، كما أن الاندماج داخل جماعة الأصدقاء يتم بحرية وسهولة، ويستطيع الفرد داخلها أن يعبر عن ذاته وميوله وانفعالاته بيسر وحرية، بينما يتم ذلك داخل الأسرة والمدرسة تحت إشرافهما وفي كثير من الأحيان بإجازتهما، إضافة إلى أن جماعة الأصدقاء تشعر الفرد باستقلاليته الشخصية وقدرته على اختيار عناصر المجموعة، وعلى الرغم من السلبيات التي قد تعتري جماعة الأصدقاء إلا أنها تسهم في الإثراء الثقافي والمعرفي لأعضائها إذا أحسن الواحد منهم اختيار المجموعة التي ينتمي إليها، أو كانت هناك قيم إيجابية مشتركة بين المجموعة.

وقد ساعدت وسائل الاتصال الحديثة من هواتف نقالة ذات قدرات تكنولوجية عالية وشبكات المعلومات وطرق الاتصال التكنولوجية من تعاظم دور الأصدقاء في التأثير الذي تقوم به مجموعاتهم، ولعل المنتديات على شبكة الإنترنت تمثل نموذجاً لما يمكن أن تؤثر فيه وسائل الاتصال الحديثة من أدوار لمجموعات الأصدقاء، ففي دراسة حول اتجاهات الشباب الخليجي نحو وسائل الإعلام (الحمود وآخرون)أجاب 35% من العينة التي تم استقصاء آرائهم بأنهم يشاركون المنتديات على شبكة الإنترنت بصفة دائمة، كما أجاب 25% أنهم يتابعون ذلك أحياناً، أي أن الذين يتابعون هذه المنتديات يبلغ 60% من عدد المشاركين. والمتتبع لهذه المنتديات يجد أنها قد طورت علاقة الأصدقاء من علاقة مباشرة إلى علاقة واسعة ممتدة لا يمكن أن توضع لها حدود ولا يتوقف تأثيرها على مستوى معين أو فئة معينة، بل يمكن أن تمتد إلى مساحات واسعة من التأثير، ولا أدل على ذلك من أن 26%

ممن تم استقصاء آرائهم في الدراسة السابقة أجابوا بنعم حين تم سؤالهم عن تأثير المنتديات في نشر ثقافة التفرقة الطائفية أو القبلية، كما أجاب 47% بـ أحياناً، أي أن الذين يرون أن المنتديات تسهم في نشر هذه الثقافة هم 73% ؟؟ مما يشير إلى أهمية دراسة ظاهرة الصداقة الإلكترونية.

المؤسسات المجتمعية:

إن طلاب المؤسسات التعليمية وطالباتها يأتون إليها وهم محملون بكثير من القيم الثقافية التي تلقوها من مؤسسات المجتمع ومكوناته المتعددة، وتستمر معهم هذه القيم في مرحلة دراستهم، بل تزداد رسوخاً من خلال تأكيد الدراسة على هذه القيم أو أنها تتعرض للتهذيب والتوجيه من خلال ما يتلقاه الطلاب والطالبات على يد أساتذتهم وفي مؤسستهم التعليمية والتربوية.

ولعل أبرز مؤسسات المجتمع تأثيراً في الثقافة، هي المؤسسات الدينية كالمساجد والمراكز الدعوية وهيئات الإفتاء ووزارات الشؤون الإسلامية وغيرها من المؤسسات الدينية التي ترسم إطاراً محدداً لكثير من التصورات والثقافات التي يتلقاها الطلاب والطالبات، ويمتد تأثيرها إلى كافة أطياف المجتمع، ولقد توسع هذا الدور وأصبح مصدراً ثقافياً مهماً خاصة في جوانب معرفة الأحكام الشرعية ككثير من أمور العبادات والمعاملات والحياة وتزكية النفس وتهذيبها، ولبيان مواقف الإسلام من القضايا العامة أو للرد على الشبهات والتحديات التي تواجه المسلمين أو لغيرها من مكونات الثقافة العامة للفرد. وقد تزايد دور هذه المؤسسات في السنوات الأخيرة من خلال استخدام وسائل جديدة كالأشرطة المسجلة أو أشرطة الكمبيوتر المدمجة (C.D) أو الكتيبات الصغيرة أو استخدام شبكة الإنترنت بل استخدام الرسائل الهاتفية القصيرة.

إن كثيراً من الطلاب والطالبات يبنون آراءهم ويتخذون مواقفهم من خلال التأثير الثقافي لهذه الوسائل مما يعني أهميته دورها في رسم السلوك والقيم لدى هؤلاء الطلاب والطالبات، خاصة وأن هذه المؤسسات تحظى بالرضا والقبول لدى متلقي رسالتها الثقافية لارتباطها بالمشروعية الدينية المعتمدة على النصوص والأدلة الشرعية.

ومن مؤسسات المجتمع المؤثرة ثقافياً المراكز والأندية الثقافية والأدبية والجمعيات الاجتماعية التي تنتشر في بعض الأقطار، إذ تشكل هذه المراكز والأندية مصدراً تثقيفياً لعامة أبناء المجتمع ولطلبة وطالبات المؤسسات التربوية والتعليمية من خلال البرامج الثقافية والأدبية كالمحاضرات والندوات والمؤتمرات وكذا نشر الكتب والدوريات والمجلات وغيرها من البرامج التي تُقدم ويتم تنفيذها سواء كان ذلك في ذات المركز أو النادي أو الجمعية، أو يتم تقديمها في المؤسسات وفق برامج مشتركة بينهما.

لقد أصبح للمؤسسات المجتمعية دور كبير في الثقافة التربوية وأصبح من الضرورة أن يتكامل ما تقدمه هذه المؤسسات مع ما تقدمه المؤسسات التربوية والتعليمية.

ثانيا: مصادر الثقافة الإعلامية:

تعتبر وسائل الإعلام من أكثر وسائل التأثير في الرأي العام وتحديد اتجاهاته، بل أصبحت هذه الوسائل مصدراً أساسياً للثقافة العامة لكافة فئات المجتمع، فقد امتد تأثيرها إلى معظم أفراد المجتمع من خلال ما تقدمه من محتوى يحمل مضامين متعددة تلقى قبولاً لدى هذه الفئات، فبين برامج موجهة للأطفال والأسرة إلى برامج تعنى بالشأن السياسي والاقتصادي والرياضي والفني، تتوزع المادة الإعلامية التي تبثها القنوات الفضائية بكل ما تحمله من مضامين، بل بدأت بعض وسائل الإعلام في التحول إلى إعلام متخصص في مجال محدد، فهناك قنوات فضائية مخصصة للأطفال وأخرى للأسرة وثالثة للصحة رابعة للبيئة، كما اتجهت قنوات أخرى للاهتمام بالثقافة سواء كان ذلك بتخصيص برامج ثقافية على خارطتها الإعلامية أو أن يكون محتوى القناة الفضائية ثقافياً بحتاً وجود أي برامج الأخرى، وما يقال في القنوات الفضائية يمكن أن يمتد إلى الإذاعة والصحافة، أما الإعلام التكنولوجي كشبكة الإنترنت والوسائط التكنولوجية فقد تجاوزت جميع الأدوار لتصبح أحدى مصادر الثقافة الإعلامية المهمة بما تتميز به من تجاوز لكافة العوائق سواء كان ذلك في الوقت الذي تبث فيه المادة الإعلامية أو مجالها الجغرافي أو مجالات رقابتها ومنعها.

إن وسائل الإعلام التكنولوجية المعاصرة تشكل أهم التحديات أمام الثقافة، فهي بين استجابة لمتطلبات هذه الوسائل وقدرة على الاستفادة منها، وبين الحد من بعض آثارها السلبية التي لم تعد خافية على أحد، ولذا فإن الثقافة الإعلامية تتم صياغيتها من خلال عدد من الوسائل أبرزها:

وسائل الإعلام الفضائية:

يشكل البث الفضائي (التلفزيون والإذاعة) أبرز مصادر الثقافة الإعلامية، وتكمن خطورته في عدم القدرة على الحد من تأثيراته السلبية على الرغم من الجوانب الإيجابية التي لا يمكن إنكارها، والتي تشكل مصدراً جيداً للثقافة الإعلامية، لكن التأثيرات السلبية هي الغالبة على ما تقدمه القنوات الفضائية المرئية منها والمسموعة، فمتابعة لكثير من القنوات الإذاعية والفضائية يمكن أن يخرج منها المتابع بحصيلة وافرة من الآثار التي تخلفها المواد الإعلامية التي يتم بثها، خاصة تلك المضامين التي تحملها المواد الإعلامية وتكون متناقضة مع المضامين التربوية التي يتلقاها الفرد من المجتمع، علما بأن أكثر المتأثرين بهذه المواد الإعلامية هم جيل الشباب وخاصة الطلاب والطالبات. فالمواد الإعلامية التي تقدمها القنوات الفضائية ترتبط بأساليب تشويق وجذب تفتقر إليه مصا ر الثقافة التربوية، فالصورة والصوت تترافقان ـ عادةً ـ مع مؤثرات تسيطر على إدراك المشاهد ووعيه، وتبث إليه بصورة غير مدركة قيما ومفاهيم ونماذج للحياة يتلقاها المشاهد أو المستمع بحواسه ثم يختزلها في عقله الباطن لتتحول بعد ذلك إلى سلوك وعادات قد لا تتفق مع ما عليه المجتمع من قيم وأعراف.

لقد تطورت أدوات الإعلام السمعية والبصرية تطوراً واسعاً وسريعاً ليس على مستوى الإمكانيات المادية بل على مستوى المحتوى الإعلامي الذي تقدمه، فمنذ دخل التلفزيون إلى حياة الإنسان على يد عالم الفيزياء الأمريكي (الروسي الأصل) فلاديمير كوزما زوريكين، عام 1924 شهدت البشرية نقلة نوعية في مجال الاتصال، ازدادت تطوراً مع التقدم العلمي الذي وصلت إليه البشرية في عصرنا الحاضر، وازداد بالمقابل تأثيرها على الفرد والأسرة والمجتمع.

إن معظم الدراسات العلمية تشير إلى أن مدى تأثير وسائل الإعلام على تكوين ثقافة الفرد وسلوكه، خاصة السلوكيات السلبية في حياة كثير من الشباب فقد جاء في إحدى المجلات: (أن الفضاء العربي ازدحم في وقت قصير نسبياً بنحو 140 قناة فضائية وتزايدت نسب مشاهدة الجمهور لهذه الفضائيات وتفيد إحدى الدراسات العلمية الحديثة أن نسبة 69 % من الجمهور العربي يشاهدون الفضائيات لمدة أربع ساعات يومياً وأن 31 % منهم يشاهدونها لمدة ثلاث ساعات يومياً و34.5 % لمدة ساعتين و15 % لمدة ساعة واحدة يومياً على حين بلغت نسبة نمو مقتني أطباق البث 12 % سنوياً و40 % من هذه الفضائيات تتبع الحكومات العربية والبقية تعتبر مستقلة ظاهرياً فقط، وتمثل البرامج الإخبارية في هذه الفضائيات حوالي 5 % فقط.

وأكد استبيان أجرته مجلة (ولدي) على 57 من آباء والأمهات و65 من الأبناء في كل من (الكويت والسعودية والإمارات) أن:الأبناء من سن 3 أعوام إلى 18 عام يشاهدون " الفيديو كليب، منهم 92’3. % من الأبناء يتابعون باستمرار " الفيديو كليب "و7.7 % فقط من العينة من لا تحرص على متابعتها وأن 39 % من الأبناء تعجبهم كلمات الأغنية و31 % يشاهدونها لجمال المغني / المغنية والراقص والراقصة و26 % منهم يجذبهم إخراج الأغنية وعلاقة المرأة بالرجل فيها و25 % يتابعها لما تحتويه من إثارة وتشويق

و تأتي التأثيرات الثقافية على الشباب من انفتاح الفضاء أمام قنوات مختلفة منها ما يسهم إسهاماً إيجابياً، ومنها ما يؤدي إلى انحراف فكري وسلوكي لدى بعض الشباب، ولم يعد من الممكن السيطرة على ما تبثه القنوات الفضائية العربية منها والدولية، خاصة في ظل تراجع وضعف القنوات الرسمية، ففي استفتاء أجراه موقع (arab polls) للاستفتاءات العربية أشار 53،3% ممن تمّ استقصاء آرائهم أنهم لا يثقون في الصحافة والتلفزيون الحكومي في بلدانهم ، كما أشار 20% فقط أنهم يثقون بها، بينما توزعت بقية النسبة تقسيمات أخرى، وعند سؤالهم عن القنوات التي يتابعونها تبين أن معظمها قنوات غير حكومية، مما يشير إلى أن ما يتلقاه شبابنا ومن بينهم طلاب وطالبات المؤسسات التربوية من الثقافة ليس بيد المؤسسة الرسمية ـ في الغالب ـ وأن مكونات هذه الثقافة ليست ـ بالضرورة ـ هي المكونات الثقافية السائدة في المجتمع، وهذا ما يفسر بعض مظاهر التقليد التي تنتشر بين طلابنا وطالباتنا، فهي انعكاس لما يتلقونه من ثقافات متعددة، وليس هذا شأن شبابنا فقط، فقد أصبحت الظاهرة عالمية، وغير مقتصرة على مجتمع دون غيره، وتشير دراسة أخرى (البياتي 2006) إلى أن 21% من المشاهدين يشاهدون التلفزيون ساعة، و27،5% يشاهدونه لمدة ساعتين، و22،5% يشاهدونه لمدة ثلاث ساعات، أما الذين تزيد مدة مشاهدتهم عن 3 ساعات فهم 29%، أما نوعية البرامج المفضلة لدى الشباب فهي 4،5% البرامج الإخبارية و4% التربوية والتعليمية و9،5% المسرحيات و10،5% الدينية و14% الرياضية و26% للأغاني والموسيقى و8% للأفلام العاطفية و11% لأفلام العنف والجريمة و4،5% للبرامج الثقافية و8% لأفلام الرعب.

أما عن دور التلفزيون في إضعاف العلاقات الأسرية (البياتي 2006) (23)فإن 57،5% أجابوا بأن التلفزيون يتسبب في ذلك، كما أجاب 51% بأن التلفزيون أكثر تأثيراً في الشباب من الأسرة، كما أجاب 66% بأن للتلفزيون تأثيرات سلبية على قيم وعادات الشباب.

وتشير دراسة (الحمود وآخرون 2007) إلى إن 31% من شباب الخليج العربي يتابعون برامج (تلفزيون الواقع) أو (التصوير الحي) مثل برامج (ستار أكاديمي وسوبر ستار والوادي)

وفي دراسة أجرتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) حول معدلات تعرض الأطفال العرب للتلفزيون إلى أن الطفل قبل أن يبلغ الثامنة العشرة يكون قد أمضى أمام شاشة التلفزيون 22،000 ساعة، في حين يقضي 14،000 ساعة في قاعات المدرسة، هذا إذا علمنا أن نسبة الذين يشاهدون التلفزيون ما بين سن الثامنة والخامسة عشر بلغت 99،9% وأن هؤلاء الأطفال يقضون جزءاً كبيراً في مشاهدة التلفزيون دون رفقة من أهلهم.

ولعل أطرف الأرقام تشير إلى أن أطفال اليوم حين يبلغون عامهم السبعين يكونون قد قضوا سبعاً وعشرين سنة أمام شاشة التلفزيون.

وإذا كانت هذه الأرقام تشير إلى عظم الدور الذي تقوم به القنوات الفضائية فإن تأثيرها يأتي مساوياً لهذا الدور، فقد نشرت إحدى الصحف(24) تقريراً حول تأثر عنف التلفزيون جاء فيه " أجرى أحد المواقع الإلكترونية الكندية والمسمى ijp استطلاعا لآراء 100 شاب كندي يعيشون في مدن مختلفة من «كيبيك» و«ياسينت» ولاحظت من خلال طرح عدة أسئلة،الأسباب المولدة للعنف لدى الشباب والتأثير القوي للتلفزيون، كأحد العوامل التي تفرز العنف لدى الشباب. وكانت الأسئلة تتحصر في إطار التلفزيون وما ينتجه من أفلام تحرض على العنف وتبعث عليه فكان السؤال الأول على الشكل التالي: إذا كنت تحضر أفلام العنف، هل هذا يجعلك تقوم بحركات عنيفة تقلد بها ما شاهدته عبر التلفزيون؟ وجاءت إجابات الشباب بنسبة 58% نعم و42% لا. وكان الاستنتاج أن أفلام العنف تولد لدى الشباب غريزة التقليد، فيقلد بطل الفيلم بحركاته وبما يقوم به من أعمال عنيفة، وتدمير وقتل وحرق. أما السؤال الثاني فكان يتعلق بحالة العنف في العالم، هل ما نشهده اليوم في العالم من أعمال عنف لدى الشباب سببه التلفزيون ؟ فأجاب 62% من الشباب بالإيجاب و38% منهم بالنفي، فتبين من الأجوبة أن الشباب يعترفون بالتأثير الجامح للتلفزيون علي. ولمعرفة ميول الشباب تجاه الأصناف المتعددة للأفلام كانت النسبة الكبرى لأفلام العنف دون غيرها من الأفلام حيث بلغت النسبة المئوية 42% يحبذون أفلام العنف في حين أن محبي الأفلام الكوميدية كانوا 6% وأفلام الحب كانت حصتها 26%،

وأفلام الرعب كان معجبوها يشكلون 26% من مجموع الشباب الذين أجرى عليهم الاستفتاء. وهذه النسب تدل على أن الشباب يفضلون أفلام العنف، إذ بإمكاننا أن نجمع النسبة المئوية لأفلام العنف مع النسبة المئوية لأفلام الرعب فنحصل على 68% من الشباب الذين يفضلون مشاهدة أفلام العنف. ولعل من أهم الآثار التي تخلفها المواد الإعلامية المستقاة من القنوات الفضائية هو تأثيرها على الهوية، إذ أن كثيراً مما تبثه هذه الفضائيات يأتي من الدول الأجنبية بكل ما تحمله من قيم ومفاهيم وأسلوب حياة، بل إن كثيراً مما ينتج ويقدم محلياً إنما هو صورة مكررة ومشوهة لما تقدمه الفضائيات الأجنبية، فهناك قنوات عربية لا تقدم إلا مواداً أجنبية بكل ما تحمله من تصورات ومفاهيم وقيم تختلف أو تتناقض في كثير من جوانبها مع مقومات الهوية التي يتبناها المتلقي للرسالة الإعلامية.

وإلى جانب هذا هناك التأثيرات السلوكية التي تخلفها القنوات الفضائية، فقد أصبح لها تأثيرات سلبية كما تشير إلى ذلك الإحصائيات والدراسات، ففي دراسة (البياتي 2006) أجاب 60% أنهم يرون أن للتلفزيون آثار سلبية على عادات وقيم الشباب، كما أجاب 3% أنه (التلفزيون) يؤدي إلى انتشار الجريمة، وأجاب 14% أنه يؤدي إلى الكسل والتراخي و2% إلى شيوع الرذيلة، وأجاب 22% بأن التلفزيون يؤثر سلباً على المستوى الدراسي، لكن 59% أجابوا بأن التلفزيون يتسبب في كل تلك الآثار السلبية، وفي سؤال آخر أجاب 80% إلى أنه يؤدي إلى شيوع الاستهلاك في حياة الفرد والأسرة، وفي إجابة أخرى ذكر 26،5% أن التلفزيون يشيع ظواهر الموضة وقص الشعر، وأجاب 9،5% أنهم يقلدون نجوم التمثيل والأفلام والمسلسلات في سلوكهم، وأجاب 8،5% أنهم يتأثرون بالمفردات والكلمات والألفاظ السلبية من خلال التلفزيون، وقد أجاب 55،5% بأنهم يعتقدون أن التلفزيون يؤدي إلى كل تلك الظواهر السلبية.

ومن التأثيرات السلبية الثقافية ـ التي تخلفها وسائل الإعلام ـ هو التأثير على اللغة العربية إذ تحولت هذه اللغة لدى بعض أبنائها غلى لغة (هجين) خليط من لغات شتى حتى أصبح كثير من طلاب المؤسسات الجامعية وطالباتها لا يحسن التعبير باللغة العربية أو الكتابة بهاوقد شعرت كثير من الدول بخطورة التأثير الثقافي على لغتها وثقافتها، فهذه وزيرة الثقافة اليونانية السابقة (ملينا ميركوري) تشتكي من مداهمة الثقافة الأمريكية، وفي فرنسا صرح وزير الثقافة (أنه خائف من وقوع الشعب الفرنسي ضحية الاستعمار الثقافي الأمريكي) بل إن رئيس وزراء كندا الأسبق (بيار ترودو) يشتكي من تأثير الثقافة الأمريكية على الشعب الكندي علماً بأن كندا هي الأقرب ثقافياً إلى أمريكا بحكم الجوار الجغرافي.

و إذا كانت هذه هي الآثار السلبية للقنوات التلفزيونية الفضائية، فإن الجانب الآخر يجب ألا يغيب عن أي باحث، فلا شك أن للتلفزيون آثاراً إيجابية لعل من أبرزها دوره في زيادة مدركات المشاهد خاصة الأطفال أو الشباب حيث يتعرف هؤلاء على كم كبير من المعلومات والأفكار والآراء مما يوسع من إدراكهم، فالفضائيات تقدم كثيراً من المعلومات التي يمكن الاستفادة منها بل استخدامها في العملية التربوية، هذا إضافة إلى أن مشاهدة التلفزيون تزيد من قدرة الأطفال على التذكر والاستيعاب وتنمي لديهم الخيال والابتكار كما تسهم في بناء شخصيتهم من خلال إعطائهم حرية الاختيار والرقابة ا لذاتية وتعزز لديهم الاستقلالية والقدرة على إبداء الرأي والرغبة في الحوار من خلال محاكاة ما يقدم في التلفزيون.

أما تأثيره الإيجابي على المؤسسة التعليمية فإنه يختصر لها كثيراً مما تقدمه، فالبرامج التعليمية والتربوية التي تقدمها بعض الفضائيات يمكن أن تكون مصدراً معرفياً جيداً للعاملين والمؤسسة التعليمية، كما يمكن الاستفادة من المادة العلمية في العملية التعليمية واعتبار بعض البرامج العلمية والتربوية مرجعاً مفيداً للأساتذة والطلبة على السواء، لكن ذلك كله مرتبط بحسن استخدام ما تقدمه الفضائيات، وبحسن التوجيه لمتلقي الرسالة الإعلامية من الطلاب والطالبات.

وسائل الإعلام التكنولوجية:

فتحت ثورة المعلومات عصراً جديداً للبشرية يقارن بعصر الثورة الصناعية التي غيرت كثيراً من أوجه النشاط الإنساني، وجاءت ثورة المعلومات لفتح آفاق جديدة للمعرفة والثقافة، وأصبح الإنسان قادراً على التواصل مع الآخر دون حواجز أو موانع، وتعددت مصادر المعرفة التي يمكن أن ترفع السوية الثقافية للمتعاملين معها، ولعل أبرز وسائل الاتصال الحديثة تأثيراً في ذلك هي الوسائل التقنية كشبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني (e.mail) والرسائل الهاتفية النصية (s.m.s.) التي تجاوز دورها كوسيلة للاتصال إلى مصدر من مصادر الثقافة والمعرفة، فشبكة الإنترنت أصبحت مصدراً مهماً للوصول إلى المعلومات سواء كانت معلومات متخصصة أم عامة، وسواء كانت مقروءة أم مسموعة أم مرئية، مع تيسير سرعة الوصول إلى المعلومة وسهولة الحصول عليها وتعدد هذه المعلومة، وتزداد المادة المطروحة على شبكة الإنترنت يوماً بعد يوم فهناك اليوم ملايين الكتب والدراسات والمقالات والأبحاث التي يمكن للإنسان الاستفادة منها بسهولة ويسر، وتجاوز الإنسان بذلك الجهد الكبير الذي كان يبذله للحصول على هذه المعلومة في وقت واحد ومكان واحد.

و إذا كان هذا شأن شبكة الإنترنت بصفة عامة، فإن استفادة الطلاب والطالبات ـ بصفة خاصة ـ تأتي في مقدمة المستفيدين منها، نظراً لحصولهم ـ في الغالب ـ على تأهيل وتدريب علمي يمكنهم من الاستفادة من هذه الشبكة بصورة جيدة وسهلة، كما أن مهاراتهم التقنية أكبر من غيرهم ممن لم يتوفر لهم حظ التعرف على هذه التقنية، وهذا ما نجده في الفرق بين طلاب المؤسسات التربوية وعامة الناس بل وبعض آبائهم في استخدام شبكة الإنترنت، ففي دراسة حول استخدام الطلبة لشبكة الانترنت (العاني 2006) (25)أجاب 75% أنهم يستخدمون الشبكة لمدة تتراوح لبن 1-2 ساعة، بينما أجاب 17% أنهم يستخدمونها مبين 3- ساعات، وأجاب 3.8% انهم يستخدمونها أكثر من 5 ساعات، وفي دراسة أخرى (الحمود وآخرون 2007) (26)أجاب 26% أنهم يستخدمون شبكة الانترنت أقل من ساعة بينما أجاب 30% أنهم يستخدمونها ما بين 1-2 ساعة ،أجاب 26% انهم يستخدمونها مابين 2-4 ساعات، أما الذين يستخدمونها أكثر من 4 ساعات فإن نسبتهم تبلغ 18% ويلاحظ أن الذين يستخدمون شبكة الانترنت من الشباب لأكثر من ساعة تبلغ نسبتهم 74% مما يشير إلى أهمية ودور هذه الشبكة وتأثيرها في تكوين وعي الطلاب والطالبات، وقد ساعد على ذلك الانتشار الواسع لهذه الشبكة في الجامعات والمؤسسات والبيوت والمقاهي والأماكن العامة بحيث لم يعد هناك معوق يقف دون استخدام هذه الوسيلة التي أصبحت مصدراً للتثقيف العلمي والسياسي والاجتماعي والصحي والاقتصادي وغيرها من صور الثقافة التي يحتاجها الإنسان في حياته.

و لعل من مميزات شبكة الإنترنت هو انفتاحها على ثقافات العالم وتنوع محتواها مما يفتح آفاقاً واسعةً أمام المتعامل معها.

و تزداد أهمية شبكة الإنترنت من خلال استخدامها وسيلة للاتصال عبر البريد الإلكتروني (e.mail) أو بوابات التواصل بين المستخدمين للشبكة، وإذا كانت الشبكة الأم تضم معلومات لا يستطيع المتصفح لها تغيير المادة المعروضة أمامه، فإن البريد الإلكتروني يحقق تلك الرغبة للتعامل معها من خلال ما يرسله من معلومات أو مواد علمية أو ثقافية عامة أو رسائل شخصية أو صور أو ملفات مسموعة أو مرئية أو غيرها من المواد، ومما ساعد على ذلك أن مزايا استخدام البريد الإلكتروني سهلة ورخيصة ؛ فالمتعامل لن يضطر إلى مراعاة فروق التوقيت أو المسافات الجغرافية، كما أن الاستخدام أقل تكلفةً وأقل جهداً ؛ فهي لا تحتاج إلى التعامل مع مكان معين أو شخص بعينه، كما أن حجم ما يتم إرساله ليس محدوداً بل يمكن استخدام أعداد كثيرة من الرسائل والمعلومات لإرسالها وفقاً للطاقة الاستيعابية للبريد الإلكتروني، ولقد أحدث البريد الإلكتروني ثورة في العملية التعليمية، فقد أصبح وسيطاً بين الأساتذة والطلاب والطالبات حيث يمكن التواصل بينهم لإرسال الواجبات الدراسية أو التكليفات أو تقديم الأسئلة وتلقي الردود عليها، أو حتى لاستخدام البريد الإلكتروني أو شبكة الإنترنت ـ بصفة عامة ـ للتواصل بين المجموعات خلال الدروس (الإلكترونية) أو الساعات المكتبية، كما أن الشبكة يسرت للطالب والطالبة التسجيل في المساقات الدراسية (لطلبة الجامعات) أو تغييرها أو تقديم الامتحانات غير المباشرة وتلقي نتائج الامتحان أو غيرها من أشكال التواصل غير المباشر، وإذا كان هذا شأن الطلاب والطالبات فإن أعضاء هيئة التدريس أكثر استفادةً وذلك في تواصلهم مع طلابهم أو مع الإدارات المختلفة في المؤسسة الجامعية أو التواصل مع زملائهم في الجامعات والمعاهد والمؤسسات المختلفة.

لقد أحدثت شبكة المعلومات (الإنترنت) "نقلة مهمة في آليات التعليم والتعلم، فهي تعمل على توفير الخدمات التربوية بصورة أسرع وبتكلفة أقل، هذه المكاسب تعود إلى إعادة النظر في فلسفة العمل التربوي ومناهجه وآلياته، والعمل على دمج قواعد المعلومات التربوية وتكاملها.

كما أنها تطور نظام الإدارة التربوية والمدرسية (School Governance) وتعمل على إيجاد علاقة جديدة بين العاملين في الحقل التربوي وبعضهم البعض من جانب، وبينهم وبين الشركاء التربويين والمستفيدين من الخدمات التربوية من جانب آخر (27).

و بفضل هذا(الشبكة) " فقد ظهرت اليوم بوادر نقل الثقافة من جيل إلى جيل آخر بدون استخدام الورق. ولدى البحث في الإنترنت يجد القارئ مواد كثيرة تحت عنوان صفوف بلا أوراق (Paperless Classroom)، وفي هذا الخصوص تشير كامبن (Campen،2004) إلى مثل هذا التطور التكنولوجي من حيث أن استخدام التكنولوجيا المتقدمة أوجد صفوفاً دون أوراق. فالمحاضرات تُلقى والواجبات البيتية تُؤدّى، والامتحانات تجرى جميعاً على الآلة المبرمجة بدون استخدام الأوراق، ويحصل الأساتذة على التغذية الراجعة المباشرة من الطلاب ويزودونهم بنتائجهم على الآلة المبرمجة مباشرة دون استخدام الأوراق. وهم يقتصدون في الكثير من الوقت الذي كان يصرف في تسجيل المحاضرة على الأوراق. كما أن المحاضرة يتم إعدادها باستخدام الباور بوينت (Power Point) على الآلة المبرمجة مع الكثير من الصور والرسوم البيانية التي تثير الدافعية لدى الطلاب، والتي تمكّن الطلاب من تركيز انتباههم دون مشتتات ودون الحاجة إلى صرف جهود من أجل تسجيل الملاحظات، إذ يرسل المحاضر فحوى محاضرته إلى بريد الطلاب الإلكتروني. كما يحصل الذين لا يستطيعون الحضور إلى الدرس على كامل المحاضرة بوساطة الإنترنت. ولا تطلب بعض المدارس التي تطبق نظام التدريس بدون أوراق شراء الكتب الدراسية، وبدلاً من ذلك تقدم كل شيء على الإنترنت.

وبجانب ذلك يجمع بعض الأساتذة بين الصفوف التي دون أوراق والطريقة الكلاسيكية التي تستخدم فيها الأوراق في أداو الامتحانات والواجبات البيتية فقط، وتبرز جوانب إيجابية عديدة للصفوف التي بدون أوراق، ويزداد اهتمام الطلاب ويصل إلى الذروة باستخدام التكنولوجيا المتقدمة، ويحصل الطلاب على درجاتهم في الامتحانات والواجبات البيتية مباشرة دون أي تأخير، ويوفر استخدام الآلة المبرمجة للأساتذة الوقت للانشغال بأمور أكثر أهمية "(28).

وإذا كانت هذه الاستخدامات تتم من خلال شبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني فإن البريد الإلكتروني أصبح مصدراً للتثقيف العام بما يتلقاه الطلاب والطالبات من رسائل متعددة المصادر، فبين مقالة ورسالة وحكمة وموقع وخبر ومعلومة صحية أو اجتماعية أو تربوية أو غيرها تتواصل الرسائل الإلكترونية مقدم خدمة تثقيفية واسعة على الرغم من الآثار السلبية التي يمكن أن تخلفها بعض الرسائل التي تصل على البريد الإلكتروني كالرسائل الإعلانية أو الرسائل الخادعة باسم الكسب السريع أو الثراء المالي، أو الرسائل غير الأخلاقية أو الأخبار الكاذبة أو الإشاعات أو غيرها من الطرق السيئة لاستخدام هذه الوسيلة التقنية،

فقد ذكر موقع عالم التقنية الإلكتروني نقلا التقارير التي نشرها مؤخراً موقع فيريس (29) أن أكثر من 45% من رسائل البريد الإلكتروني ما هي إلا عبارة عن رسائل دعائية (sp) يتم إرسالها إلى مستخدمي البريد الإلكتروني حول العالم دون استئذان. وتتسبب هذه الرسائل حسب الموقع بخسائر سنوية بمئات الملايين من الدولارات رغم كافة المحاولات

للتصدي لها ووضع العقبات في طريق وصولها إلى صناديق البريد، والمشكلة الأكبر هي أن تلك الرسائل تصل أيضاً إلى الأطفال والكثير منها يضم محتوى له ضرر كبير على الأطفال واليافعين، في هذا الإطار قامت شركة (سيمانتك)العاملة في ميدان حماية البيانات بإجراء استطلاع للرأي بغية التعرف على مدى الأخطار التي تشكلها تلك الرسائل على الأطفال وموقف الأطفال من تلك الرسائل وكيفية التعامل معها. وقد أظهر الاستطلاع أن مانسبته 80% من الأطفال الذين يستخدمون البريد الإلكتروني يستقبلون رسائل بريد إلكتروني دعائية كل يوم وبخاصة خلال فترات العطلة حيث يقضي الأطفال الكثير من الوقت في تصفح الإنترنت. وبعض تلك الرسائل تتضمن محتوى لا ينبغي عليهم أن يطلعوا عليه، وشمل الاستطلاع 1000 شخصاً تتراوح أعمارهم ما بين 7 و18 عاماً وتطرق لبعض المواضيع التي تتعلق بتجارب الأطفال مع الرسائل الدعائية وموقفهم من تلك الرسائل. وعندما سئل من شملهم الاستطلاع عن طبيعة الرسائل التي تصلهم، أشار 80% منهم إلى أنهم يستقبلون رسائل تدعو للمشاركة بمسابقات وسحوبات معنونة بعناوين رنانة مثل ''اربح وحدة بلاي ستيشن2'' أو ''اربح رحلة إلى هاواي مدفوعة التكاليف''. و62% منهم يتلقون رسائل تتعلق ببناء علاقات الصداقة والدردشة عبر الإنترنت تحمل عناوين مثل ''تعرف على أجمل الفتيات عبر شبكة الإنترنت''. أما 61% منهم فأشاروا إلى تلقيهم رسائل تروّج لبضائع وسلع تجارية و55% تلقوا رسائل دعائية لمنتجات التخسيس والحمية تحمل عناوين مثل ''تخلص من 15 باوند من وزنك خلال يومين فقط''، و51% أيضاً تلقوا رسائل تروّج لمنتجات ومستحضرات دوائية كالفياغرا وغيرها. و47% تلقوا رسائل تحمل وصلات إلى مواقع إباحية تضم صوراً وأفلاماً لا يجب أن يطّلعوا عليها، والمشكلة تكمن في أن معظم الأطفال لا يتجاهلون تلك الرسائل ويفتحونها مدفوعين بالفضول الذي تحركه لديهم العناوين الرنانة لتلك الرسائل، فوفقاً للاستطلاع يقوم واحد من كل خمسة من هؤلاء الأطفال (ما يقارب 21%) بفتح تلك الرسائل والقيام الكثير من هؤلاء الأطفال بالطبع ينزعجون من تلك الرسائل ولا يناقشون الموضوع مع أهاليهم، وقد أشار 51% من هؤلاء في الاستطلاع إلى أن هذه الرسائل تزعجهم، إلا أن 13% منهم أشاروا إلى أن مثل تلك الرسائل تثير فضولهم ويطلعون عليها، وحتى عندما يطلعون على محتوى تلك الرسائل فإن 38% منهم لا يطلعون أهاليهم على ذلك،ومن ناحية أخرى أشار الاستطلاع المذكور إلى أن الكثير من الأطفال ليس لديهم فكرة وافية عن ماهية تلك الرسائل، كما أن واحد من كل ثلاثة لا يعلمون ما إذا كانت تلك الرسائل مفيدة لهم أم لا، وما إذا كان ينبغي عليهم فتحها أم لا. إضافة لذلك، هناك 22 % من المشاركين في الاستطلاع أشاروا إلى أن أهاليهم لم يناقشوا معهم مسألة البريد الإلكتروني أو أية تعليمات مرتبطة بتلك الرسائل فيما يتعلق بطرق التعامل مع الرسائل الدعائية غير المرغوبة.

وأشارت نتائج الاستطلاع إلى أن معظم الأطفال يملكون عناوين بريد إلكتروني خاصة بهم، كما أن أكثر من 50 % منهم يتفقدون بريدهم الإلكتروني باستمرار دون أي رقابة من أهاليهم، حتى أن 76% من هؤلاء يملكون أكثر من عنوان بريد إلكتروني واحد. وعندما سئل هؤلاء الأطفال الذين شاركوا في الاستطلاع عن عدد المرات التي يتفقدون فيها بريدهم أشار 72 % منهم إلى أنهم يتفقدونه عدة مرات كل يوم. وعند ما سئلوا عما إذا كانوا يتفقدونه بحضور أحد الوالدين، أشار أكثر من 30% منهم إلى أنهم لا يولون ذلك أي اهتمام، كما أن 16% منهم أعربوا عن عدم رغبتهم في إطلاع أهاليهم على الرسائل التي تصل إلى بريدهم الإلكتروني. ولما تم سؤالهم ما إذا كانوا يستأذنون أهاليهم عندما يريدون إعطاء عنوان بريدهم الإلكتروني لأحد الأصدقاء أو أحد مواقع الإنترنت فقد أجاب 46% منهم بـ''لا''.

الدراسة التي أجرتها (سيمانتك) أظهرت أن الأطفال يدخلون إلى الإنترنت بكثافة أكبر خلال أشهر الصيف بعد أن تغلق المدارس أبوابها. وعندما تم سؤالهم عن عدد الساعات التي يقضونها في تصفح الإنترنت، أشار 44% منهم إلى أنهم يستخدمون الإنترنت لمدة ساعتين تقريباً كل يوم. أما الذين يستخدمون الإنترنت لأكثر من ساعتين في اليوم فوصلت نسبتهم إلى 23%. وأشار 75% من هؤلاء الذين يقضون أكثر من ساعتين في اليوم في استخدام الإنترنت إلى أن معظم هذا الوقت يقضونه في قراءة وإرسال البريد الإلكتروني.

وإذا كان هذا حال الأطفال، ذووا المهارات التقنية المحدودة فكيف بالطلاب والطالبات الذين ليهم مهارات متقدمة في استخدام التكنولوجيا ؟؟؟.

لكن أخطر التأثيرات على مستخدمي البريد الإلكتروني هي الرسائل والاستخدامات غير الأخلاقية، ففي تقرير(30) أجري على طلاب المدارس في بريطانيا تبين أن واحداً على الأقل من كل 10 قد استخدم رسائل البريد الإلكتروني أو الرسائل الهاتفية النصية في التهكم على الآخرين. ويقول تقرير بثته إذاعة بي بي سي- 5 إنه تصعب مواجهة أو منع الاستخدام المسيء لمثل تلك الوسائل الحديثة حتى على الآباء والجمعيات المهتمة وفي المدارس.

لكن هذه السلبيات والمخاطر لا يمكن أن تقف عائقاً دون الاستخدام الأمثل لشبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني خاصة إذا خضعت هذه الشبكة لمراجعة وتنقية من الجهات المشرفة على تقديم الخدمة.

ومن وسائل التثقيف العامة لدى طلاب المؤسسات التربوية والتعليمة وطالباتها، الرسائل الهاتفية النصية (s.m.s.)، فقد وفرت هذه الخدمة الإلكترونية وسيلة سهلة وبسيطة للتواصل بين الناس، وقد زاد الإقبال عليها في السنوات الأخيرة كوسيلة تثقيفية أيضاً إذ تصل رسائل من مصادر عامة كالمؤسسات التعليمية والمؤسسات الحكومية والشركات وغيرها معرّفة بنشاطها أو برامجها أو أخبارها، كما تصل رسائل شخصية مباشرة كالرسائل التي يتبادلها الناس يوم الجمعة والمناسبات تحمل توجيهات دينية أو أدعية أو حث على أداء فريضة أو نهي عن سلوك سيء أو غير ذلك من الرسائل القصيرة التي أصبح لها تأثير واضح على متلقيها، وقد تستعمل هذه الرسائل كذلك في المناسبات العامة أو الخاصة كالتهنئة بحلول شهر رمضان أو العيدين أو التهنئة بالمناسبات الخاصة كالزواج والنجاح والسفر وغيرها، كما تتضمن بعض الرسائل تعريف بالأنشطة التي تقوم بها المؤسسات التعليمية كالمحاضرات العامة والندوات والمؤتمرات وغيرها مما يشكل مصدراً تثقيفياً جديداً بدأ يلج إلى ساحة المؤسسات التعليمية، كما يمكن الاستفادة تربويا من هذه الوسائل.

ثالثاً: وسائل الإعلام الورقية:

تمثل الصحافة أو الإعلام الورقي أو الإعلام المقروء الضلع الثالث في مثلث مصادر الثقافة الإعلامية، فمنذ اخترع جوتنبرغ عام (1436 - 1438م) المطبعة شهد العالم تحوًّلا واسعاً في هذا المجال، إذ ازداد عدد المطبوعات واتسع انتشارها وتكررت نسخها وتوفرت لكل من يطلبها، وقد عرف العرب المطبعة أول مرة عام 1734 م في لبنان ثم جاء نابليون بحملته الشهيرة حاملاً المطبعة معه إلى مصر عام 1798 م، ثم انطلقت مسيرتها بعد ذلك في كافة البلاد العربية لتسهم في إيجاد نهضة ثقافية واسعة كان للإعلام نصيب فيها، حيث انتشرت الصحف والمجلات في البلاد العربية وتطورت مع تطور الآلة حتى أصبحت صورة جديدة عما كانت عليه الصحافة عند بدايتها، سواء كان ذلك من حيث المحتوى أم الشكل أم الأدوات المستخدمة في ذلك، والإعلام الورقي من صحافة ومجلات، هي من أقل وسائل الثقافة الإعلامية تأثيراً على جيل الشباب وخاصة من كان منهم في المراحل التعليمية، إذ أن اهتمامهم بالشأن العام الذي ـ هو محور ما تدور عليه الصحافة ـ قليل، ولذا فإن اهتمامهم يتجه ـ غالباً ـ إلى الصحافة المجتمعية أو المرتبطة بالقضايا التي تهتم الشباب في هذه المرحلة من العمر مثل المجلات الاجتماعية والفنية ـ وخاصة بالنسبة للفتيات ـ أو المجلات الرياضية ومجلات السيارات والأجهزة الإلكترونية وغيرها ـ بالنسبة للفتيان ـ وهذا ما تشير إليه الدراسات المتخصصة، ففي دراسة (وطفة) أشار إلى أن 20% فقط من الشباب يقرأون الصحف يوميا، و28% يقرأونها أكثر من مرة أسبوعياً، و14% يقرأونها شهرياً، و31% يقرأونها عرضياً، أما 5،9% فلم يبدوا رأيهم.

وفي دراسة أخرى(المحمود وآخرون 2007) فقد أشارت الدراسة إلى أن 34% من شباب الخليج العربي يتابعون الصحف اليومية و61% يتابعونها أحياناً و5% لا يتابعونها ؟؟ لكن النتيجة الأخرى تبين السبب في عدم متابعة الشباب للصحف اليومية، إذ أجاب 5% فقط؟؟ ممن تم استقصاء آرائهم بأنهم يصدقون أو يؤمنون بما يقرأونه في الصحيفة اليومية، بينما أجاب 89% بأنهم يصدقون ذلك أحياناً، أما 6% فإنهم لا يصدقون ولا يؤمنون بما في الصحف اليومية، وهذه نتيجة تبين السبب في قلة إقبال الشباب ـ خاصة الطلاب والطالبات ـ على متابعة الصحف اليومية، كما يبين مدى تأثير ذلك على تكوين الثقافة الإعلامية لديهم.

تكامل أم تناقض ؟

لا شك أن العلاقة بين الثقافة التربوية والثقافة الإعلامية ستبقى قضية مجتمعية عامة وميداناً للدراسات والبحوث المتخصصة، لما لهذه المسألة من علاقة مباشرة بالمجتمع والحياة ولما لها من تأثير مباشر كذلك على العملية التعليمية والتربوية لا في داخل المؤسسات التعليمية فقط بل على كافة المؤسسات التربوية بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالمجتمع الذي يسهم إسهاماً كبيراً في العملية التربوية.

لقد انشغلت المؤسسات البحثية والمعنية بالتربية ـ خاصة ـ بعدد من الأنشطة التي تعنى بذلك فبين مؤتمر وندوة ودراسة وحوار التقت جميعها على أن العلاقة بين الطرفين ليست تكاملية كما أنها ليست تناقض كذلك، بل إن العلاقة تعتريها كثير من المؤثرات والأسباب التي تجعل هذه العلاقة ليست كما يجب أن تكون عليه (التكامل) وليست كما توصف (التناقض)، لقد بدا واضحاً في كثير من الأنشطة التي تبحث في طبيعة العلاقة سعة الهوة التي تفرق بين الفريقين، فالتربويون ينظرون إلى الإعلام باعتباره قوة مؤثرة في العملية التعليمية من خلال ما تحتويه المادة الإعلامية التي تبثها أجهزة الإعلام، ووصلت العلاقة بينهم وبين الإعلاميين إلى التناقض أو الدعوة إلى القطيعة إذ ما يزال كثير من التربويين يحذرون من الآثار التي تخلفها وسائل الإعلام على الطلاب والطالبات وعلى العملية التربوية بمجملها.

وهم بذلك يؤسسون لعلاقة القطيعة، مع ما لهذه العلاقة من أثر سلبي على الطلاب والطالبات الذين سريعاً ما يلتقون بالإعلام حال مغادرتهم المؤسسة التعليمية إذ تتلقاهم أجهزة التلفزيون عند دخولهم منازلهم وتجرهم منتديات الدردشة على شبكة الإنترنت إليها في جلسات تمتد لساعات طويلة، ثم ما يلبث الطالب أو الطالبة أن يعود في اليوم التالي إلى مؤسسته التعليمية ليتلقى سيل النقد والتوبيخ لوسائل الإعلام، مما يجعله يعيش حالة من الانفصام النكد الذي يؤثر سلباً في علاقته بكلا الجهتين خاصة حين تتغلب الرؤى التربوية ـ وهذا ما يحدث غالباً ـ في رسم صورة الثقافة الإعلامية، فينتقل الفرد من التصرف الطبيعي في علاقته بوسائل الإعلام إلى رؤية جديدة يتجاذبها طرفان ؛ إما الرفض المطلق لكل ما يقدم في الوسيلة الإعلامية أو الانغماس المطلق في ما تقدمه هذه الوسيلة، ولعل مرجع ذلك غياب الروح النقدية المتوازنة، إذ أن التربويين غالباً ما ينظرون إلى الإعلام من خلال ما تقدمه شريحة محددة فيه، وهي القنوات الفضائية التي لا تضع ضوابط لمحتواها الإعلامي، أو حتى من خلال بعض البرامج التي تقدم في قنوات تتسم بالتوازن والاعتدال، لكنها في بعض برامجها تفقد هذا الاعتدال؟؟ فسريعاً ما تتجه نحو البرامج الهابطة أو غير ذات مردود تربوي إيجابي، إن غياب نظرة التوازن في التعامل مع الوسيلة الإعلامية قد يدفع بالجيل الجديد إلى مواقف متطرفة ومتشددة أو منحلة ومنحرفة.

إن عودة العلاقة إلى صورتها الطبيعية بين المؤسستين سيجنب الأوطان كثيراً من المشكلات الاجتماعية والفكرية، بل سيرفد المجتمع بعدد من البرامج التي تخدمه وتعمل على تطويره " فقد قامت عديد التجارب في العديد من البلدان لتوظيف وسائل الإعلام في خدمة أغراض تربويّة محدّدة. وحظيت هذه التجارب أحيانا بدعم من قبل بعض المنظمات الإقليمية والدوليّة. وهكذا تمّ استغلال وسائل الإعلام المكتوبة والسمعية والبصرية في خدمة حملات منظمة لمحو الأميّة. كما انتظمت حملات مشابهة لفائدة المجتمعات القرويّة أو

الريفيّة وغيرها. وتمّ توظيف وسائل الإعلام أيضا في خدمة التربية الصحية والغذائية أو في خدمة الإرشاد الفلاحي أو في خدمة أغراض تنموية أخرى.
وبالرغم من هذه الاستعمالات المتعدّدة والمتنوّعة لوسائل الإعلام في خدمة أغراض تربويّة، فإنّ الجدل بقي قائما بين المربين والدارسين حول الجدوى الفعلية لوسائل الإعلام في العملية التربويّة.
وبقي التساؤل قائما حول مدى تجانس أو تناقض المؤسستين التربويّة والإعلاميّة. على أنّ طرح الإشكاليات المتعلّقة بالعلاقة بين المؤسسة التربويّة ووسائل الإعلام أصبحت تفرض ذاتها في الوقت الراهن، فقد أحدثت الثورة التكنولوجيّة في مجال الإعلام والاتصال تحوّلا جذريا في طبيعة العلاقة بين التربية والإعلام.
ويتمثّل هذا التحوّل في استعمالات المؤسسة التربويّة للتقنيات الجديدة للإعلام والاتّصال كأدوات بيداغوجيّة لإكساب عملية تبليغ المعرفة مزيدا من النجاعة، كما أنّ وسائل الإعلام أصبحت في حدّ ذاتها محورا للعمليّة وضمن بـرامج التعليم في المدرسة.
أما الإشكالية الثانية التي تبدو في العلاقة بين الطرفين أن هناك حالة من الانبهار بوسائل الإعلام وتأثيراتها إذ أن التطور السـريع والمتنامي لأجهزة الإعلام وتنوعه محتواها وتعدد مضمون رسالتها الإعلامية جعلها أكثر قرباً من الإنسان بل أكثر تأثيراً، خاصة وأنها تستخدم مؤثرات عدة على حواس الإنسان بين السمع والبصـر والإدراك بالعين الباصـرة، كما أن صفة التشويق تجعل من الوسيلة الإعلامي أكثر جذباً وأكثر تأثيراً كذلك.
إلا أن الملاحظ أن طبيعة العصـر وسـرعة التغيير التي فرضت نفسها على الوسيلة الإعلامية جعلت من أثر هذه الوسيلة، أثرا قصير المدى، فالتأثير الإعلامي في تكوين اتجاهات للرأي العام لم يعد كما كان عليه قبل عشر سنوات مثلاً، فالمعلومة أو التحليل أو الخبـر أو حتى المضمون الثقافي الذي تحمله الوسيلة الإعلامية سـريعاً ما يتغير لا بسبب مصداقيتها فقط بل بسبب تعدد هذه الوسيلة، فالخبـر الذي تأتي به صحيفة أو مجلة قد تنقضه أو تكذبه صحيفة أخرى، والتحليل الذي تعرضه قناة فضائية يخالفه تحليل آخر في قناة أخرى، ولا يثبت في ذهن المتلقي للرسالة الإعلامية كحقائق ثابتة إلا تلك المعلومات الوثائقية أو الأخبار القطعية، وبذلك فإن تأثير الثقافة الإعلامية ـ بصفة عامة ـ ليست تأثيراً ثابتاً بل هو متغير، أما الثقافة التربوية فهي أبطأ من حيث تأثيرها لكنها أكثر استقراراً وثباتاً خاصة وأن عمليات التغيير في العملية التربوية ـ بطبيعتها ـ بطيئة وذات مدى زمني طويل مما يجعل منها ـ في الغالب ـ مرجعية ثابتة للإنسان بدءاً من مراحله التعليمية الأولى وامتداداً إلى نهاية حياته، ولذلك فإن كثيراً من الطلاب والطالبات كثيراً ما يطرحون أسئلة على معلميهم عما تلقوه من الوسيلة الإعلامية، ومدى صواب ذلك من خطئه، لكن الثقافة التربوية ذات مصادر محدودة بينما تتسع دائرة الثقافة الإعلامية يوماً بعد يوم وتتعدد صورها وأشكالها.
ملخص الفصل:
العلاقة بين التربية والإعلام هي إحدى الإشكاليات التي ما زالت ميداناً للدراسة والبحث من قبل المتخصصين، وستبقى كذلك لطبيعة كل واحد منهما، ولذا فلا بد من إعداد الدراسات والبحوث التي تجسـر العلاقة بينهما وتربط المؤسسات التربوية بالمؤسسات الإعلامية بما يحقق الأهداف المرجوة لبناء الشخصية الإنسانية السوية.
مصادر الثقافة التربوية هي المؤثر الأهم في تكوين تصورات الفرد وأفكاره ومهاراته، ولذا لا بد من تعزيز مصادر الثقافة التربوية وتطويرها ودعمها حتى تستطيع أن تواكب المتغيرات على الساحة التربوية والإعلامية.
إن إيجاد بـرامج مشتركة بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الإعلامية سيرسخ الجانب الإيجابي فيما تقدمه وسائل الإعلام، وسيمكن المجتمع من الاستفادة من هذه الوسائل، وبغير ذلك ستبقى المشكلة بينهما قائمة.
التربية الأسـرية والمدرسية مدخلان أساسيان في تكوين أسس بناء شخصية الطالب، ولذا لزم إعطاؤهما الأمر كاملاً للقيام بدورهما من خلال اهتمام الأسـرة والمدرسة بأبنائها والحرص على تكوين الرؤية النقدية لديهم بحيث يستطيعون أن يتعاملوا مع المؤثرات الخارجية كوسائل الإعلام، ومجموعات الأصدقاء وغيرهم بأسلوب يحفظهم من الوقوع في الانحراف الفكري والسلوكي.
إن الانفتاح الإعلامي المحلي والعالمي قد فرض نفسه، ولا يمكن منعه أو الوقوف أمامه، ولكن طرح البدائل من خلال إعلام يقدم الخدمة الإعلامية الراقية ويحافظ على القيم التربوية سيكون بديلاً ناجحاً في المجتمعات العربية.
لا بد من تغيير بيئة المؤسسات التعليمية العربية لتكون بيئات جاذبة لطلابها وطالباتها من خلال تطوير هذه المؤسسات وتوفير الإمكانيات المادية والبشرية وإدخال التكنولوجيا بصورة تمكنها من الاستفادة القصوى من هذه الوسيلة، وتجعلها مصدراً للثقافة التربوية الجيدة.
إن التأثير السلبي لبعض وسائل الإعلام ـ وخاصة القنوات الفضائية ـ قد أدى إلى مشكلات في المجتمعات العربية، سواء كان ذلك في ظاهرة الإرهاب والعنف أم انتشار الجريمة والانحراف والتحلل، وقد كلف المجتمعات كثيراً من الأرواح والأموال. ولذا لابد من إعادة النظر في دعم هذه القنوات سواء كان ذلك من خلال الدعم المباشر أو غير المباشر، حتى لا تقوم هذه القنوات بهدم المجتمع وأبنائه بأمواله.
إن الدعوة إلى الحد من الآثار السلبية لمصادر الإعلام لا يعني الانغلاق أو التقليل من الإيجابيات الكثيرة التي تقدمها هذه المصادر، لأن في ذلك خطر لا يقل عن الانفتاح السلبي، بل إن مزيداً من الحرية والشفافية والجودة فيما يقدم كفيل بتحول متلقي الرسالة الإعلامية إلى ما هو أجود وأفضل.
لا بد من الاستفادة التربوية من وسائل الإعلام وتسخير التكنولوجيا لخدمة العملية التربوية والتعليمية، وتطوير مهارات الأساتذة والطلاب والطالبات والعاملين في المؤسسات التربوية في استخدام التكنولوجيا و تطويرها وتسخيرها لخدمة التربية والإسهام فيها بما يثري الثقافة التربوية.
إن ميثاق شرف بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الإعلامية الرسمية منها والخاصة سيضع الملامح الأساسية لانتقال العلاقة بينهما من التناقض إلى التكامل.
.

الفصل الثاني

مقدمة

تشهد معظم المجتمعات اليوم تنافساً مكشوفاً أو مستتراً، معلناً أو خفياً، بين النظامين التربوي والإعلامي، ونتج عن هذا التنافس ميلاد تناقضات خطيرة في عقل الفرد وطرق تفكيره. فالنظام التربوي يقوم على قيم النظام المتمثلة في المحتوى الدراسي المنضبط، وعلى قيم التنافس في التحصيل والانجاز المتمثلة في التعلم الذاتي وتفريد التعليم، بينما يستند النظام الإعلامي إلى الاتصال الجماهيري الذي يهتم بالجديد دون التأمل في محتواه، وبالموضوعات المتنوعة دون التركيز على تخصص بعينه، وتقديم البـرامج الترفيهية الممتعة التي يسهل فهمها بغض النظر عن ركاكة الأساليب أو تفاهة المفردات اللغوية، وهذا يظهر التناقض بين النظامين التربوي والإعلامي.

وترتب على هذا التناقض لون من التصادم في العلاقة القائمة بين المؤسسات التربوية والإعلامية. وظهور تباين واضح بين الثقافة المدرسية التي تعتمد على المعرفة ذات الطابع الأكاديمي البيداجوجي، وبين الثقافة الإعلامية التي تروجها وسائل الإعلام ذات الطابع الترويحي المستند إلى الإثارة والدعاية.

ورغم التباين الثقافي الذي توفره المؤسسات التربوية والإعلامية، ورغم التناقض في أهدافهما وغاياتهما ووسائلهما وأساليبهما، إلا أنه توجد مجالات من التجانس والتشابه بين المؤسستين التربوية والإعلامية. فكلاهما عملية إتصال، وكلاهما يسهم في التنشئة الاجتماعية للفرد الذي يقضي فترة طويلة من حياته مشاهداً لوسائل الإعلام أو متعلماً داخل صفوف المدرسة.

بل إن نصيب الجيل الحالي من تأثيرات وسائل الإعلام الجماهيرية في تكوين ثقافته، وتحديد أنماط سلوكه، وإكسابه المفاهيم والقيم والعادات والاتجاهات، قد تزايد كثيراً في ظل تقدم تقنية الاتصالات والمعلومات، وازدحام الفضاء بالأقمار الصناعية التي تبث بـرامجها طوال الليل والنهار. وهذا يتطلب تجاوز القطيعة القائمة بين التربويين والإعلاميين، والتعاون في توظيف وسائل الإعلام في خدمة أغراض تربوية محددة، وتوظيف التربية في تفعيل الرسائل الإعلامية.

ومع التطورات التقنية الحديثة تحول موقف المؤسسة التربوية من تقنية الاتصال والمؤسسات الاعلامية، وأصبحت وسائل الإعلام وتقنية المعلومات تستخدم في صلب العملية التربوية، واستخدام المعلم الوسائط المتعددة وشبكة المعلومات الدولية في إعداد الخبـرات التعليمية وتوصيلها للطلاب، وأصبح التعليم عن بعد، والتعلم الإلكتروني، والجامعة الافتراضية، والمواقع التعليمية مجالات مهمة تعتمد عليها المؤسسة التعليمية (أحمد، 2001).

إن مشكلة التربية مع الإعلام لا تكمن في تأثير وسائله على النشء بقدر ما ترتبط بكيفية تعامل النشء مع ما تبثه وسائل الإعلام. وهنا يأتي دور التربية الإعلامية في إكساب الطلاب القدرة على الاختيار والنقد، واكسابهم مهارة الفرز والانتقاء الحسن، لما يؤدي إلى نموهم نمواً متزناً متكاملاً في جميع جوانب شخصياتهم. وهذا ما يجعل المؤتمرالدولي الأول للتربية الإعلامية واختياره عبارة (وعي ومهارة اختيار) لبنة أولى في بناء صـرح شامخ تشيده المؤسسات التربوية والإعلامية لتوفير تربية إعلامية واعية وناقدة للأجيال القادمة.

تحقق التربية الإعلامية المدرسية عدة أهداف تربوية تتمثل في عدة أمور نناقش منها: زيادة فاعلية العمل التربوي المدرسي، ومواجهة التحديات الحضارية، والارتقاء بالحياة الطلابية المدرسية. وفيما يلي نبذة مختصـرة عن تلك الأهداف.

زيادة فاعلية العمل التربوي المدرسي:

تقوم التربية الإعلامية المدرسية بدور كبير في تطوير وزيادة فاعلية العمل التربوي المدرسي من خلال الممارسات التالية:

أ- الإسهام في توفير الصلة بين المدرسة والحياة.

ب- الإسهام في تحقيق التماسك الاجتماعي.

ج- مساعدة الطلبة على تفهم وجهات النظر والرؤى العالمية المختلفة.

د- تعزيز مفاهيم الشورى عند الطلبة.

هـ- الإسهام في معالجة مشكلات الطلاب المعقدة كالفقر والمخدرات والتشرد والجوع والعصابات والبطالة.

و- مساعدة المدارس على تحقيق الفهم الصحيح لدى الطلبة لمفاهيم العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي.

ز- تعويد الطلبة على تحمل المسؤولية، وترسيخ جذور التعاون.

ح- مساعدة الطلبة على فهم دلالات التربية المهنية.

مواجهة التحديات الحضارية:

صاحب ظهور العولمة وانتشارها الكثير من التحديات العالمية في المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن أبـرزها الاختراق الثقافي وانتشار ثقافة العولمة، وهذا يتطلب من التربية الإعلامية المدرسية مساعدة الطلبة على مجابهة العديد من تلك التحديات الحضارية والثقافية ومن أبـرزها:

أ- تعزيز الهوية الدينية الإسلامية.

ب- مواجهة التغير القيمي.

ج- مواجهة تحدي التواصل الثقافي.

د- مواجهة التوترات بين المحلية والعالمية.

هـ- مواجهة التوتر بين التقاليد والحداثة.

و- مواجهة التوتر بين الروحي والمادي.

ز- مواجهة التوتر بين الكلي والخاص.

ح- مواجهة التوتر بين المدى الطويل والمدى القصير.

الارتقاء بالحياة الطلابية المدرسية:

تعالج التربية الإعلامية المدرسية عدداً كبيراً من الميادين والمجالات ذات الصلة بمعيشة الطالب المدرسية والحياتية ومن أهمها:

أ- مساعدة المدرسة لتكوين بيئة تعلمية حقيقة، يكون التفاهم، والصـراحة، والحوارية أبـرز آلياتها ومنهجياتها.

ب- تعزيز مكانة المدرسة الاعتبارية من حيث كونها مؤسسة لإكساب الطلبة القيم.

ج- مساعدة الطلبة في مدارسهم على إعادة تشكيل المفاهيم السالبة حول الأشياء والأشخاص لتكون إيجابية بعد اتضاح اللبس وزوال الغموض. كما إن التربية الإعلامية يمكنها أن تجعل ما هو غير مأمون على الصعيد المدرسي بالنسبة لشريحة أو أكثر من الطلبة مأموناً.

د- تساعد التربية الإعلامية المدارس والطلبة على تخطي الحدود الضيقة وتجاوزها إلى حدود أرحب وأكثر اتساعاً وشمولية.

هـ- تمكن التربية الإعلامية المدارس من تقويم الذات وإعادة تطوير الذات في شكل ومضمون جديدين مناسبين للظروف والمتطلبات المعاصـرة.

و- مساعدة الطلبة على النجاح المتواصل الذي لا يتوقف عند حد معين.

ز- تمكن التربية الإعلامية الطلبة من خوض غمار المغامرات الجريئة في العمل التعلمي، فلا تصبح العوائق التقليدية (المعلم، الكتاب، النظام المدرسي السائد، الوسائل، الإدارة المدرسية) سبباً في عدم وصولهم إلى المعلومات وتحقيقهم للابداع.

ح- تساعد التربية الإعلامية على تكوين القيادات الطلابية، وعلى جعل المدرسة نفسها مدرسة قيادية للمدارس الأخرى بحكم نشاطاتها وإنجازاتها ومبادراتها.

ي- توفر التربية الإعلامية المدرسية غطاء علمياً وثقافياً مناسباً لكثير من الخطط والبـرامج المستقبلية للمدرسة وطلابها.

ك- تمكن التربية الإعلامية المدرسية طلابها من تطوير البيئة المحلية واصلاحها وصناعة التقارب بين سكانها والتلاحم بين اعضائها، فتستفيد المدرسة من هذا التحول في دفع عجلة التطوير المدرسي إلى أقصى سـرعة ممكنة.

ل- تساعد التربية الإعلامية المدرسية طلابها على مشاركة أقرانهم بالمدارس المماثلة التصورات والرؤى حول العمل المدرسي، على مستوى المنطقة التعليمية وعلى المستوى الوطني على السواء.

ميادين التربية الإعلامية المدرسية:

تتعدد الميادين التي تنطلق منها التربية الإعلامية المدرسية ومن أهمها ما يلي:

الألعاب المدرسية:

يمكن للألعاب المدرسية التركيبية أو التمثيلية أو الحركية أن تكون مصدراً جيداً للاعلام التربوي في مدارس التعليم العام بالمفاهيم الصحيحة حول الألعاب، وأساليب أدائها، والأهداف الكامنة خلفها، وفهم القيم والمثل العليا المرتبطة بها، وتعزيز مبدأ التنافس الشريف، وحسن تقدير أداء الآخر أو الآخرين، وأهمية الإعداد والتعبئة المسبقة، والانضباط والمثابـرة والصبـر والتحمل، والإنجازية.

وإلى جانب ذلك فإن الألعاب المدرسية تطور التراكيب اللغوية والتعبيرات الدقيقة عند الطلاب، وتمكنهم من الإبداع في المهارات الأساسية، ومهارات الإنتباه السـريع والبديهة

وتوزيع الانتباه، والمهارات الاجتماعية التواصلية، وتعزيز مفاهيم الصحة العامة والصحة البدنية والعناية بالبدن وتجنب الاصابات والأمراض، وتمكين الطالب من النضج الاجتماعي والاتزان العاطفي والتخلص من مشكلات الأنانية والتسلطية وضيق الأفق والعزلة عن الجماعة، كما أن التربية الإعلامية المدرسية تحقق العديد من الأهداف التربوية الثقافية عبـر اللعب كمعرفة طبيعة الألعاب ومخترعيها ومصانعها ومستوى جودتها وأخطارها وأضـرارها ومزاياها وعيوبها.

الفنون المدرسية:

تغطي الفنون المدرسية مساحة كبيرة من الأنشطة الطلابية كالرسم والزخرفة والنحت والأشغال اليدوية والفنون التمثيلية والمسـرحية والأناشيد والأغاني والأهازيج التربوية، ومتاحف الطلاب، ومعارض الإنتاج الطلابي، والحفلات والمهرجانات المدرسية وغيرها. وجميع هذه الفنون يمكن أن تحقق أهداف التربية الإعلامية المدرسية بشكل مكثف وسـريع، كما أن أثر تعلم هذه الفنون في المدرسة يظل باقياً في نفس الطالب أو الطالبة لمدد طويلة ومدعاة لمفاخر كثيرة في حياته كلها. فهناك أنواع عديدة للرسوم والأشغال الفنية والتمثيليات والمسـرحيات والمعارض والمتاحف التاريخية والعسكرية والمعمارية والعلمية والطبيعية والفنية، ومعارض الهوايات ومعارض المناسبات الدينية والوطنية ومعرض الكتاب والمعارض التربوية التي يمكن أن يستفيد منها الطلبة.

تساعد الفنون المدرسية في تنمية الإدراك، والإرتقاء بالذوق والارتباط بالحياة الواقعية، وزرع الثقة في الطالب وإنجازاته ومكتسباته، وتوسيع دائرة الطالب أو الطالبة المعرفية والثقافية واستخدام التقنيات المتنوعة في التقديم والعرض، وإكتساب مهارات النقد والتقويم وإعداد التقارير، والمهارات القيادية والتشاركية وإنجاز القرار، وزيادة الإنتماء المحلي والإنساني العالمي، والمنافسة مع الآخرين، وتشجيع الطلبة على الأنشطة الإبداعية والإبتكارية، وتعديل الإتجاهات، أو إعادة تكوينها حول الناس والأشياء، ومعرفة الآخر وسبل التفاعل معه، وحسن الاستمتاع بالحياة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفنون المدرسية يمكن أن تتم جميعها داخل المدارس ويمكن أن تتم خارجها، وفي كلتا الحالتين فإن الطلبة يتمكنون من الإستفادة منها في إطار التربية الإعلامية المدرسية، كما إن توفير أنشطة الفنون المدرسية بطريقة متنوعة يساعد الطلاب على اختلاف نزعاتهم واهتماماتهم في اختيار ما يعبـر عن احتياجاتهم فتكون فرص التربية الإعلامية الناجحة كبيرة داخل المدارس.

الإذاعة والصحافة المدرسية:

تشكل كل من الإذاعة والصحافة المدرسية بؤرة مركزية تتجمع فيها آلاف الرسائل الإعلامية التي تحقق أهدافاً تربوية بالغة الأهمية، ويتوقف نجاح الإذاعة والصحافة المدرسية على حسن اختيار المادة الإعلامية وأسلوب تقديمها ومدى مناسبتها لمقتضى الحال. كما إن حداثة المادة الإعلامية، ومهارات مقدمها أو معدها يلعبان دوراً حيوياً في جعلها مقبولة من الآخرين. وتمكن الإذاعة المدرسية والصحافة المدرسية من مواكبة الحدث، وإعطاء الطلاب فرص المشاركة في التحدث عنه وتقديم آرائهم حوله ونقده وتقويمه وربطه بجوانب متعددة من جوانب الحياة. كما إن الإذاعة المدرسية والصحافة المدرسية تمكنان الطلبة في المدارس من اكتساب المهارات القيادية ومهارات الخطابة والإلقاء، ومهارات التحرير الصحفي ومهارات إعداد التحقيقات الصحفية وطرق ومصادر بيانات المعلومات وخواص إخراجها في قالب يحقق المراد منها:

وسائل أخرى:

هناك جملة من المصادر الأخرى للتربية الإعلامية المدرسية لها دور كبير في تنمية الوعي الثقافي والتربوي والاجتماعي في المجتمع المدرسي أبـرزها المكتبة المدرسية، واللقاءات المشتركة بين المعلمين والطلاب وبين الإدارة والطلاب، ولقاءات الآباء والأمهات، والمحاضـرات العامة المدرسية سواء كان المشاركون فيها من داخل المدارس أم من خارجها، والأفلام التربوية والتثقيفية التي تعرض داخل المدارس، وشبكات المعلومات الموصولة بالمدارس، والرحلات الطلابية المدرسية إلى المواقع القريبة أو البعيدة عن المدارس، والأندية المدرسية الصيفية داخل البلاد أو خارجها، والوسائط الإعلامية المتاحة داخل المدارس من أشرطة فيديو وأشرطة ممغنطة أو اسطوانات مدمجة ونشرات إعلامية مدرسية وكتب أو مجلات مدرسية، هذا إلى جانب الكتب الدراسية نفسها التي تنقل العديد من العناصـر الثقافية الإعلامية. كما يعد المعلمون أو المعلمات المصدر الأكثر تأثيراً -عادة- في نقل عناصـر التربية الإعلامية إيجاباً أو سلباً، وهم يمثلون المنهج الخفي الأقوى فاعلية في بعض الحالات على توصيل الرسائل الاعلامية إلى الطلاب. وللأندية المدرسية الطلابية دور كبير في اكساب الطلاب العديد من المعارف والمهارات والإتجاهات حول الأمور المختلفة -جنباً إلى جنب- مع المساجد أو المصليات المدرسية.

مزايا التربية الإعلامية المدرسية:

تحقق التربية الإعلامية المدرسية العديد من المزايا للطلبة ويمكن تحديد أبـرزها فيما يلي:

1) تعويد الطلبة على التعايش مع التغير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والتكنولوجي الذي تمليه التطورات السـريعة في الأفكار والقيم والرؤى والتقنيات والأدوات والوسائل.

2) إعداد الطلبة للتعايش مع الآخرين، والتفاهم مع الغير، وإدراك وفهم القضايا المحلية والإقليمية الدولية.

3) مساعدة الطلبة على تفسير الأمور واستيعابها والمشاركة في حل المشكلات، وعلى امتلاك المهارات والقدرات التحليلية.

.) تزويد الطلبة بعدد من المكتسبات في إطار التعبئة الجماهيرية لمواجهة الحدث الطارئ أو الحدث المستمر، والقدرة على المواجهة عوضاً عن الخوف والاستسلام أو الإنعزال أو الرفض لمجرد الرفض أو الإكتفاء بمجرد تبـرير المسائل والأمور أو إسقاط التهم على الغير أو نسب المسألة أو القضية لسبب واحد بعينه دون غيره.

5) مساعدة الطلبة على إدراك مواقعهم عند الآخرين سواء كان هؤلاء الآخرون في الداخل أم في الخارج فتكون التربية الإعلامية المدرسية بذلك وسيلة جوهرية لتصحيح المفاهيم التي تكتنز بعوامل الفرقة والإختلاف والتمايز المذموم والصور الإنطباعية والصور المضادة.

6) مساعدة الطلبة على فهم حقوقهم وواجباتهم وحقوق الغير وواجباتهم، علاوة على فهم العديد من المفاهيم الدارجة مثل مفهوم الشورى مقابل الديمقراطية، ومفهوم حقوق الإنسان، ومفهوم حقوق المرأة، ومفهوم الحرية ومفهوم الأقليات، ومفهوم الخصوصية وغيرها.

') مساعدة الطلبة على إدراك مغازي العولمة وماهيتها وسبل التفاعل معها، وأخطارها، وطرائق تنقيتها وحسن توظيفها لخدمة الفرد والجماعة، وعلاقة العولمة بالثقافة، وماهية المشروعات الثقافية الكبـرى كمفهوم الشرق أوسطية، ومفهوم الشركات الدولية عابـرة القارات، ومفهوم التعددية السياسية، ومفهوم اتفاقية الجات، ومفهوم الخصخصة، ومفهوم حوار الأديان، والحوار الحضاري، ومفهوم التغريب، ومفهوم التغير القيمي، ومفهوم توطين التقنية.

8) مساعدة الطلبة على التخلص من كثير من المشكلات النفسية والثقافية والاجتماعية وإعادة فهم الأمور بطريقة صحيحة ذات نزعة عصـرية، بل إن التربية الإعلامية المدرسية يمكن أن تساعد على حل مشكلات كبـرى مثل مشكلة الأمية الحضارية والأمية التكنولوجية أمية السياسية ونحوها.

9) تعويد الطلبة على حب المكتبة المدرسية وحب الكتاب، والرغبة في القراءة، لكونها وسيلة للتوعية والتثقيف والعلاج.

10) مساعدة الطلبة على فهم الثقافة المجتمعية والثقافة العالمية، وربط المواد الدراسية بالأحداث والوقائع الحقيقية.

11) إعداد بـرامج إعلامية لشرائح الأطفال والشباب في سن التعليم العام تعبـر عن حاجاتهم، وتشبع مطالبهم، وترقى بأذواقهم وتصحح أفكارهم، وتنظم أمور حياتهم.

12) مساعدة المعلمين والمعلمات والآباء والأمهات ومن يقع في حكمهم على اكتساب الثقافة التربوية التي توجه عملهم وتجعلهم قادرين على معرفة اتجاهات أبنائهم وبناتهم وطلبتهم في كل ما من شأنه رعاية وتربية النشء.

13) تعزيز الانتقاء الثقافي الصحيح من البـرامج الإعلامية الترفيهية والثقافية، مع العمل على إكساب الطلبة مهارات النقد والتحليل وحل المشكلات.

14) تنمية مهارات الطلبة القرائية والكتابية والتحليلية والإدراكية والنقدية، والمساعدة في تنشئتهم اجتماعياً بشكل سليم.

15) تحصين الطلبة من المؤثرات الثقافية والحضارية الضارة بالقيم والمعتقدات وبالثقافة المحلية.

16) تدريب الطلاب والطالبات على آليات البحث عن المعلومات وسبل تصنيفها وتنظيمها وتحليلها والخروج بالنتائج وإصدار الأحكام حول هذه النتائج.

:) تدريب الطلاب على التفكير العلمي من خلال تعزيز مفاهيم الإصغاء والموضوعية، وتوزيع الأدوار، والتشويق، وطرائق المنافسة والحوار، وطرح الأسئلة المثيرة، وإعطاء الطلبة الفرصة الكافية للتعبير عن الذات وعن الآراء الخاصة، وعلى سبل صياغة العبارات والألفاظ الدقيقة التي تدل على الموضوع بصورة مباشرة.

18) مشاركة الطلاب في تخطيط الأنشطة والبـرامج الإعلامية المختلفة سواء بطريقة فردية أم بطريقة جماعية.

19) توفير تقنيات متنوعة لمصادر التعلم ورقية وإليكترونية لمساعدة الطلبة علي الفهم والاستيعاب والتمكن والإبداع.

معوقات التربية الإعلامية المدرسية:

بالرغم من اعتراف جميع القائمين على التربية بأهمية التربية الإعلامية المدرسية، إلا أن الواقع يطالعنا ببعض المشكلات التي تحول دون تحقيق فاعلية هذه التربية، ومن أبـرز هذه المعوقات ما يلي:

1- عدم الإيمان الحقيقي بقيمة النشاطات المدرسية وأهميتها النظرة السلبية لأولياء الأمور نحوها.

2- عدم قدرة المعلمين على تنظيم النشاط المدرسي تنظيماً منهجياً يؤدي إلى تحقيق أهدافه.

3- عدم توافر الوقت اللازم في المنهج المدرسي لممارسة النشاط.

4- نظام الامتحانات، والاهتمام بها، مما يساهم بنصيب وافر في تقليص النشاط المدرسي، ووضعها من الناحية العملية على هامش الأهمية، بل خارج حدود الهامش أحياناً.

5- عدم توافر المعلم الكفء الذي يستطيع توظيف واستثمار تكنولوجيا الإعلام لأغراض تربوية.
6- التباين الشديد بين الثقافة المدرسية والثقافة التي تروجها وسائل الإعلام.
7- في ظل تقدم وسائل الاتصال وازدحام الفضاء بالأقمار الصناعية التي تنقل البـرامج التليفزيونية على مدارس الساعة صار من الصعب تنسيق الجهود بين التربويين والإعلاميين أجل بث بـرامج مخطط لها بعناية لتنمية قدرات الطفل العربي المسلم في إطار ثوابت الهوية الإسلامية العربية.

ملخص الفصل:

للارتقاء بالإعلام التربوي المدرسي يقترح المشارك بعض التوصيات التي تحقق زيادة تفعيل دور المدرسة في الإعلام التربوي ومنها:
1- دعوة المؤسسات التعليمية إلى التوظيف الأمثل لامكانات مؤسسات الاعلام ووسائل الاتصال الجماهيرية في خدمة العملية التربوية التعليمية.
2- دعوة الإعلاميين والتربويين إلى التنسيق بين قطاع التربية وقطاع الإعلام في تخطيط المحتوى التربوي الذي يمكن تقديمه للطلبة.
3- دعوة مؤسسات الإعلام إلى تقويم المواد الإعلامية التي تستهدف الطلبة بصفة دورية في ضوء المعايير الإعلامية والتربوية والنفسية.
4- دعوة المعلمين إلى اكساب الطلبة أنماطاً سلوكية تركز على تنمية التفكير الناقد، وعلى القيم الاجتماعية التي تمكنهم من التكيف مع أنماط الحياة المتغيرة، وتكسبهم المهارات التي تمكنهم من النظرة الموضوعية الفاحصة للأشياء والمواقف.

الفصل الثالث

الوضع الحالى بالنسبة للاعلام وتأثيره على الطفل

يتسع مفهوم الإعلام ليشمل العديد من الوسائل والأدوات التى تستهدف الجمهور لتوصيل معلومات محددة،إلى جمهور مستهدف،وقد تطور الإعلام من كونه طريقة فى التعبير عن إرادة الحاكم إلى وسيلة للتمرد ومعارضته،ويرى البعض أن مفهوم الإعلام بأنه: التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير ولروحه أو ميولها واتجاهاتها في نفس الوقت. الألماني "أتجورت "

وثمة تعريفات للإعلام عديدة فيعرفه "ريدفيلد" بأنه المجال الواسع لتبادل الوقائع والآراء بين البشر. بينما يعرفه "ريفيز" بأنه يشمل كافة طرق التعبير التي تصلح للتفاهم المتبادل.

وتشمل وسائل الإعلام (أو وسائط الاتصال) أشكالا مختلفة ومتراكمة تاريخياً،فعلى الرغم من أن لم يبدأ الحديث عن الوسائط إلا فى فى عشرينات القرن العشرين،إلا أن الاهتمام بتلك الوسائط كان أقدم من ذلك بكثير بداية بفن البلاغة الذى مارسه اليونانيين والرومان القدماء،الاتصال الشفهى والبصري وغيرها حتى مرت البشرية بما سمى "بعصر الصحافة" و"عصر الإذاعة"و"عصر التلفزيون" و"عصر الفضاء الرمزى أو التخيلي أو الافتراضي"

أهمية الإعلام:

للإعلام أهمية كبرى على مستوى الفرد، الأسرة، المجتمع، الدولة، الأمة، العالم. وفي جميع مرافق الحياة الإنسانية: التربوية، والثقافية، والإجتماعية، والصحية، والإقتصادية، والسياسية، وغيرها:

وسائل الإعلام جزءاً رئيساً في حياتنا اليومية.

اقوى ادوات الاتصال العصرية التي تعين الفرد على معايشة العصر والتفاعل معه

من أهم الوسائل الحديثه في مخاطبة المجتمعات الانسانية

ترجمة التوجهات الاجتماعيه بمختلف الاتجاهات الفكريه وتفعيل الحراك السياسي والمشهد الثقافي والنتاج الفكري والابداعي

شرح القضايا وطرحها على الرأي العام من اجل تهيئته اعلاميا

بناء الدول اقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا وثقافيا وفكريا

التأثير على القضايا السياسية والإقصادية والثقافية والفكرية

العلم بما يجري في العالم من أخبار وأحداث وتطورات والتفاعل معها

التبادل الثقافي والحضاري والمعرفي بين الدول والشعوب والتفاعل فيما بينها

بناء القناعات والاتجاهات والمعتقدات عند الأفراد والجماعات

في القرن الحادي والعشرون أصبحت الكلمة الاولى للإعلام في ظل ثورة الاتصال والمعلومات.

تأثير وسائل الإعلام على الطفل

أ) التأثير الآني:

وهو التأثير المباشر في نفس الطفل ويتكون عندما تكون الرسالة جديدة كلياً عليه او تحوي كم كبير من الإثارة والتشويق.

ب) التأثير التراكمي

وهو الأشهر والأعم وذو الأثر البعيد لنفس الطفل حين يتعرض الطفل لرسائل متقاربة في أزمنة مختلفة وبشكل متدرج ومن خلال أكثر من صورة وطريقة مما يرسخ في نفسه تماماً الأفعال والأقوال التي ذكرت له، خصوصاً مع كثرة إثارة الرسالة وتناولها بين الأطفال أنفسهم "هل شاهدت البرنامج الفلاني؟" "ما أطرف الشخص الفلاني" "لقد أعجبني البطل الفلاني" وهكذا تتأصل الرسالة من خلال التناول الجماعي لها قبل الأطفال.

مدى تأثير الإعلام على الطفل

تؤثر وسائل الإعلام على الطفل بحسب اربعة عوامل:

1) نوعية الوسيلة وقوتها ومدى انجذاب الطفل إليها وهي مرتبة بحسب نسبة تأثيرها كالآتي:

أ. السمعية البصرية (التلفاز - السينما - الفيديو)

وهي تمثل اعلى ثقل (60-70%)

ب. التفاعلية (العاب الكمبيوتر)

وهي تمثقل ثقل متوسط(20-30%)

ت. السمعية (الإذاعة - الكاسيت)

وهي تمثقل ثقل متوسط(10-20%)

ث. البصرية (المقروءة) (المجلات - الكتب - القصص)

وهي تمثقل ثقل متوسط(10-20%)

2) عمر الطفل وخلفيته الثقافية وبيئته الاجتماعية

3) نوعية الرسالة للطفل من خلال المادة الإعلامية المقدمة

وتعتبرهذه أهم قضية فالطفل - بالجملة- مستقبل جيد لكل ما يرسل له خصوصاً إذا صاحب المادة تشويق وإثارة للطفل.

4)الوقت الذي يقضيه مع وسائل الاعلام

يمكن تقدير توزيع اوقات الطفل كالتالي:

1- نوم 8-10 ساعات

2- مدرسة 6-7 ساعات

3- لعب / طعام / أنشطة حرة / 4-5 ساعات

4- إعلام 5-6 ساعات

بتحليل - رياضي- بسيط نستطيع أن نؤكد أن تأثير الإعلام - تربوياً- على الطفل يشكل نسبة تقارب 35-40%

الوضع الحالى بالنسبة لإعلام الطفل:

إن واقع إعلام الطفل العربي ليس على المستوى الذي يمكنه من القيام بدوره في تربية وإعداد الطفل العربي، وتثقيفه، وإن خطورة التقصير في وسائل الإعلام العربية تجاه الطفل العربي تكمن في أنها تفتح الباب أمام وسائل الإعلام والثقافة الغربية التي تغزو مجال إعلام الطفل العربي، مما يكون له أسوأ الأثر في تشكيل شخصية الأطفال العرب وقيمهم وعقيدتهم.

اولا: أدب الطفل

يعد أدب الطفل جزءا من الأدب بعمومه، ويحمل خصائصه وصفاته، وبكونه يعنى فقط بطبقة محدودة من القراء هم الأطفال، وهو إن استفاد من الفنون الحديثة، والرسوم والصور والأشكال التوضيحية، فانه يحمل في النهاية مضمونا معينا، سواء صيغ بأسلوب المقالة أو بأسلوب القصة أو الأنشودة أو الحكاية. وأدب الطفل حديث جدا، بمقياس تاريخ الأدب عموما، ولم ينشأ في صيغته المقروءة المعاصرة إلا منذ قرنين من الزمن تقريبا، ولا يعنى ذلك أنه كان منعدما، لكن الكتابة الأدبية المتخصصة بالأطفال حديثة جدا، وبدلا منها وجدت الحكايات المنقولة شفاهة عبر الأجيال، وعلى لسان الأجداد والجدات. ويعتبر أدب الأطفال، بما يحويه من قصص وأشعار وحكايات، في صيغة كتاب أو مجلة أو شريط مسموع أو مشاهد، ميدانا هاما لتنمية قدرة الطفل على الإبداع وتنمية القدرات الابتكارية والانتما للوطن لديهم. كما يعتبر وسيطا مناسبا في الجانب التربوي للتعليم، وتنمية القدرات الذهنية، واستقرار الجوانب النفسية لدى الطفل.ويمكن القول: انه يتيح للطفل الشعور بالرضا، والثقة بالنفس، وحب الحياة، والطموح للمستقبل، ويؤهله لكي يكون إنسانا ايجابيا في المجتمع.

خصائص أدب الطفل:

إن المضمون الجيد يفقد أثره عندما يصاغ في قالب رديء، ورغم أنه ليس هناك أسلوب محدد في أدب الأطفال، إلا أننا نستطيع أن نشير إلى بعض المعالم المهمة لهذا الأدب، وهى:

أن يتصف بالوضوح، وبساطة العرض، وسهولة اللغة.

أن تكون الجمل قصيرة، والمفردات واضحة.
الاختصار والتركيز، والوصول إلى المعنى بأقل عدد ممكن من المفردات.
لا بأس بالتكرار غير الممل، والتأكيد غير المتكلف.
ربط الطفل بأصوله الحقيقية وانتمائه إلى أمته وبث المسؤولية التي سيتحملها في المستقبل
الوضوح، والتلقائية، والقوة، والجمال، فحيثما وجد يلقى القبول، لان الغموض والتكلف والألفاظ الصعبة، كلها من دواعي العزوف عن القراءة، حتى لو كانت في قوالب فنية جميلة.
استخدام أسلوب المفاجأة، وعنصر التشويق والإثارة، والتنوع في التعبير بين المبنى للمجهول، والمحاورة، والأسئلة، ثم العودة إلى الصيغ البسيطة، فإنها تساعد في نجاح وصول المادة إلى الطفل، وتدعوه أيضا لمواصلة القراءة.
إذ أن عقل الطفل ووجدانه وغذاءه يجب أن يختلف عما يقدم للكبار من حيث الموضوع والمحتوى والفكرة. لأن الأطفال يختلفون عن الكبار في درجات التفكير والنضج والتذوق. وعليه فان الأدب الابداعي الموجه للطفل له طبيعة.فهو يرمى إلى أهداف متعددة تستغرق التربية الوجدانية، وتربية الإحساس بالجمال والتربية الخلقية وتنمية الثروة اللغوية، وبث القيم في نفوس الأطفال وتنمية المهارات عندهم.
كما يتمتع كتاب الطفل العربى الان بالاتى:
قلة العدد: كل 100 طفل يشتركون في نسخة واحدة من كتاب واحد في السنة أي أن نصيب الطفل الواحد لايزيد عن بضعة أسطر سنوياغياب المتخصصين في الكتابة للأطفالندرة المكتبات والدور المتخصصة بنشر كتاب الطفلضعف الإخراج الفني قلة الكتب المترجمة الهادفة ندرة معارض الكتاب المتخصصة بالطفل تغييب ثقافة الإبداع والابتكار غياب الأهداف التربوية في الكثير من كتب الأطفال
كما تتميز المجلات العربية بالاتى:
القلة العددية
ما يقارب 80 مليون طفل (6-14) سنة تخدمهم 15 مجلة بمتوسط 20.000 نسخة (لا تتجاوز 400.000 نسخة بأي حال: كل 200 طفل يشتركون في نسخة واحدة من عدد واحد من مجلة واحدة؟؟)
ضعف المحتوى:
50% مادة ترفيهية بحتة (تختلف من مجلة لأخرى)
25% مادة تعليمية / تربوية (تميل للسوء والانحراف في الكثير منها)
25% مادة محايدة ثقافية عامة
قلة الجيد من المجلات (لا يتجاوز 20% من المتاح في السوق)
قلة المادة التربوية والدينية (لا تزيد عن 10 %) في اغلب المجلات
غياب التوجيه السلوكي
تقديم القدوات السيئة
إهمال المستوى العقلي والنفسي فالكثير من القصص والمغامرات تتجاوز مستوى الأطفال وأعمارهم
كثرة المواد المترجمة من مجلات أجنبية دون انتقاء
عدم التكامل مع بـرامج المدرسة التعليمية
قلة المتخصصين في ميدان الكتابة والرسوم الفنية
إهمال قضايا العقيدة
سيطرة المادة الترفيهية على صفحات المجلة
عدم تقديم القدوات الصالحة وبطريقة مناسبة
وسائل تنمية أدب الأطفال:
إن الوصول إلى التنمية المطلوبة في أدب الأطفال، يقتضي أن نعمل على إنجاز ما يلي:
1) الاتجاه إلى الأطفال كجيل جديد، عليه أن يتسلح بقيم عربية أصيلة.
2) إيمان المؤسسات الثقافية والتربوية، بأدب مستقل للأطفال.
3) ـ جعل الوسائط الثقافية والتربوية، تراعي خصائص النمو عند الأطفال، وتستجيب لحاجاتهم في التعبير والاطلاع والإبداع، وتتوافق مع طبيعتهم.
4) ربط الثقافة العربية المعاصـرة المكرسة للأطفال بمناهج التعليم.
5) الاهتمام بالثقافة العربية، التي تتبع أساليب تهز وجدان الطفل، وتؤكد على روح الجماعة والتعاون مع الآخرين، وتعنى بتربية العقل واليد معاً.
6) إيقاف الأدب على وعي الفساد والتخلف فيما حولهم وإحلال القيم المتمثلة بالصدق، والأمانة، والإخلاص، والوفاء، والتضحية، والروح الإنسانية.
7) مساعدة الأطفال على وعي الفساد والتخلف فيما حولهم وإحلال القيم المتمثلة بالصدق، والأمانة، والإخلاص، والوفاء، والتضحية، والروح الإنسانية.
8) البحث عن أدوات إيصال ثقافية جديدة تغري الأطفال وتجذبهم.
9) إيجاد وسائل فعالية لقيم أدب الأطفال الجيد.
10) الاعتماد على الأصيل من التراث، وتجسيده لربط الحاضـر بالماضي، والانطلاق به إلى مستقبل أفضل.
11) التأكيد على تقديم نوعية متميزة في الشكل والمضمون، أي في الكيف لا في الكم.
12) إنشاء حوافز معنوية ومادية، تحث المعنيين من الأدباء والكتاب والرسامين والمثقفين على التفرغ لأدب الأطفال.
ثانيا: الاذعة والتلفزيون
الإذاعة
تظهر أهمية الإذاعة من خلال البـرامج التي تبثها والتي تقدم للطفل المعلومات والحقائق والعادات والتقاليد ومعايير السلوك السائد في المجتمع وغيرها من الأمور التي تساعد في تكوين شخصية الطفل.
من أثر الإذاعة على التنشئة الاجتماعية للطفل:
اثارة النشاط العقلي للطفل
زيادة ثقافة الطفل وقدرته اللغوية
تنمية الميول والاتجاهات الايجابية
تنمية الذوق الفني وتوسيع خياله وتصوره للحياة
واقع الطفل الان بالنسبة للاذاعة:
ندرة بـرامج الأطفال في الإذاعات العربية
عدم وجود معدي بـرامج أطفال متخصصين
ضعف مستوى بـرامج الأطفال
نمطية البـرامج واعتمادها غالباً على الأغاني
الاختيار غير الموفق غالباً لأوقات بث بـرامج الأطفال
أنتاج محدد على شكل كاسيت للأطفال يغلب عليه الأناشيد
التليفزيون
عندما ظهر التلفاز لأول مرة مع بدايات الخمسينية الثانية من القرن الماضي توقع التربويون أن يكون هذا الجهاز نافذة تطل على آفاق رحبة تساهم في تحول أطفالنا من كائنات اجتماعية إلى كائنات عاقلة، أخلاقية، ناقدة ومبدعة. وأن يساعد على إشباع حاجاتهم وتهيئتهم للمدرسة وللحياة. وأن يكون إحدى وكالات التنشئة الاجتماعية القادرة على غرس القيم الاجتماعية الإيجابية وتعزيز شعور الانتماء الوطني والقومي، وتزويد الأطفال بالمعلومات. ووضع العالم بين أيديهم، وتنمية ثروتهم اللغوية وإغنائها

بالاحتكاك المباشر بلغات العالم الحية، وتعليمهم أنماط السلوك الجيد. من هنا خضع هذا الجهاز لمئات الدراسات بحثاً عن مدى نجاح ما يقدم فيه لتحقيق تلك الأهداف الحالمة، ومدى الآثار الضارة الناتجة عن الاستخدام الخاطئ لمنتجات التكنولوجية الحديثة في ظل عصر العولمة التي انطلقت مع بدايات الألفية الثالثة. فما أن أعلن عن بعض سلبيات هذا الجهاز حتى انهالت الدراسات والأبحاث، وازدادت أكثر بتوسع القنوات الأرضية والفضائية، حتى شغلت الوقت كله، وكسرت احتكار هذا الجهاز من قبل السلطات السياسية لكل بلد، ليسود الإعلام الاختياري المعبر عن حرية الأفراد في اختيار ما يشاهدونه عبر الشاشة الصغيرة.
إن صرخات الباحثين من نوع "أنقذوا فلذات أكبادنا من التلفاز"، وشكاوى الآباء، وخوفهم وقلقهم على أبنائهم دفعت بمربين آخرين إلى افتراض أن التلفاز قد يساهم في تزييف الوعي، ويؤدي إلى الإحباط، ويعطل ملكة الخيال، ويشجع الروح الاستهلاكية من خلال الإعلانات، ويعزز الصور النمطية، وقد يعزز ثقافة العنف، دفعت بكل هؤلاء وما أكثرهم إلى التصدي لملاحقة سلبيات هذا الاختراع وكشفها تمهيداً للحد من آثارها.
وتركز اهتمام الباحثين على ما يستقبله الأطفال من برامج، وعلى أي استخدام لشاشته من مشاهدة أفلام الفيديو وأفلام الأقراص المدمجة، والألعاب الإلكترونية من مثل Game Boy)،Nintendo والأتاري) وغيرها.
كما تركز اهتمام الباحثين والمربين على موقع التلفاز من الوسائط المتعددة، والاتصال التفاعلي والتعلم النشط بعد أن صار بالإمكان استقبال برامج التلفاز عبر الإنترنت والهاتف المحمول.
ومما زاد من هذا الاهتمام ملاحظات لا تخطئها عين مراقب ومنها: تزايد طول الفترة التي يقضيها الطفل في مشاهدة برامج التلفاز الموجهة للأطفال وللراشدين، وتعرضهم لأفلام حاملة لثقافات الأمم الأخرى تهاجم ثقافة أطفالنا وتدفعهم إلى تذوت ثقافات غريبة عنا. أضف إلى ذلك شكوى الوالدين والمعلمين من الأداء المدرسي لأبنائهم الذين يبالغون في طول فترات المشاهدة، وما ينجم عن هذا من اضطرابات سلوكية ومشكلات مدرسية (N.D، Patel).
ولعل ما عقد من مؤتمرات حول هذه الآثار المتوقعة للمشاهدة، وما نشر من دراسات في شتى بلدان العالم، واستمرارية الجدلية حول الآثار المتوقعة الإيجابية والسلبية على نمو الأطفال بعامة واكتسابهم للمهارات اللغوية بخاصة، إضافة إلى خوف مجمع اللغة العربية الأردني، العين الساهرة – أو كما يفترض أن يكون- على اللغة العربية اكتساباً وإنتاجاً وتطويراً. في ظل إبداعات تكنولوجيا عصر العولمة، وتحول العالم إلى قرية صغيرة، كل شيء فيه يدار بسرعة وبسهولة ويسر حتى أصبح طفل الروضة قادراً على فهم ما يبث من برامج، وقادراً على التعامل مع تقنيات العصر من خلال مبتكرات بسّطت المعقد، وسهّلت بالتالي التواصل عبر الثقافي.
إذا تحدثنا عن التلفزيون كوسيط اعلامي مهم يتأثر به الطفل تأثرا شديدا يصل في بعض الأحيان للإدمان، فنجد أن الطفل يقوم بكل أنشطته الحيوية وهو يشاهد التلفزيون، فهو يأكل ويلعب ويقوم بعمل واجباته المدرسية أحيانا وهو يشاهد التلفزيون. ونعلم جميعا أين يكمن الخطر في هذه المشاهدة، حيث يشهد العالم الآن انفجارا من البث الفضائي لقنوات لا نعلم حقيقة مصادرها أو حقيقة أهدافها، ولكننا نعلم أنها تحمل ثقافات بعيدة كل البعد عن ثقافة مجتمعنا وقيمه.
هل العلاج إذا أن نمنع بث القنوات الفضائية ونقفل أبوابنا دونه ربما كان هذا علاجا ناجحا للبعض، ولكنه علاج محدود لأن القادرين على تنفيذه قلة وسيواجهون عقبات كثيرة. ومع مرور الزمن يصبح مثل هذا العلاج غير ذي جدوى فالتقنيات تتطور حتى تستعصي على المنع، والسيل ينهمر تباعا حتى لا تنفع معه سدود. وتلك حقيقة واقعية وقد لا نرضى بها، ولكن لابد من التعامل معها حتى نحسن المواجهة ونقلل من آثار الشر على أطفالنا.
واقع برامج الأطفال في القنوات العربية
ندرة المادة الكرتونية الهادفة المناسبة للأطفال
ندرة المسرحيات والمنوعات الهادفة والتربوية للأطفال
القلة العددية من حيث الساعات
اعتماد البرامج المستوردة (أكثر من 50%)
اعتماد التوجيه المباشر في الغالب
قلة التشويق واعتماد النمطية
الاعتماد واسع النطاق على أفلام الكرتون وكأن هناك معادلة خاصة بهذا الجانب: تلفزيون + طفل = أفلام كرتون
احتواء الكثير من الأفلام الغربية على مشاهد لا تليق بالطفل وتؤثر على سلوكه
احتواء بعض أفلام الكرتون الغربية على انحرافات عقائدية
غياب البعد الأخلاقي في كافة ما يعرض من أفلام الكرتون الغربية انتشار العنف وثقافته في أغلب الكرتون
كيف يمكن ان نجعل الاذاعة والتلفزيون مواكبين للتحولات السريعه التي تعيشها مجتمعاتنا:
1-الارتباط بأهداف التنمية الشاملة وخططها بشكل رشيد وديناميكي.
2-ان تستهدف سياسات الاتصال اصلاح التربية بما يتطلبه ذلك من تنمية ملكات العلم الذاتي والتفكير العلمي وملكه التكيف والابداع وفهم المشكلات ومواجهتها والانتقال من تلقين الى تطوير الشخصيه ومن التربية المحدودة الى التربية الشاملة ومن التربية الاستهلاكية الى التربيه الانتاجية مما يدعم قدرة الجمهور على التحكم.
3-تدعيم الاحساس بالمواطنة والانتماء والرغبه في المشاركة في بناء الوطن والاسهام في تشكيل الهوية الوطنية ومحاولة خلق وعي عام لدى الجماهير باهمية الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس.
4-الحفاظ على القيم الذاتية الثقافية الوطنية وتعزيزها والحيلولة دون الغزو الثقافي وفرض اتجاهات اجتماعية ونماذج سلوكية قد تعوق التنمية وتستمر معها اوضاع الظلم الاجتماعي والتبعية وان كان هذا لايمنع من الانفتاح على الثقافات الاخرى دون الاعتماد على الانتاج الثقافي وقبوله بلاتمحيص.
5-بناء نموذج اتصالي يقوم على المشاركة لا على فرض الاعتقادات بتجنب الاعتماد على النموذج الراسي في الاتصال وتوفير الفرص للمشاركة الشعبيه في الاتصال وتحقيق ديمقراطيته وبذا يتخلص النظام الاتصالي من سمة الاتجاه الواحد ويحقق فكرة الاتصال كحق اساسي وينظر للجمهور كمشاركين لا كمتلقين او مستهلكين فحسب.
6-الالتزام بمفهوم واضح للحريه يحترم هوية كل شعب وحقوق الانسان وحرية التعبير
7-تدعيم القيم الروحية وخاصه مع انعكاس اثار الثورة التقنية على الانسان وفشل تجارب الانغماس في الحضارة الغربيه.
8-اعتماد اللغة العربية الفصحى التي يفهمها افراد المجتمع.
دراسة معمقة على تأثير التلفاز على تربية وسلوك الأبناء
يطمح التربويون في أن يكون التلفزيون نافذة تطل على آفاق رحبة تساعد على نمو الأطفال النفسي والعقلي وتساعد على إشباع حاجاته وتهيئته للمدرسة والحياة وهذا طموح بعيد المنال. إذ ندرك أن التلفزيون سلاح ذو حدين: فهو قد يؤدي إلى تزييف الوعي، ويؤدي إلى الإحباطات، ويعطل ملكة الخيال ويشجع الروح الاستهلاكية ـ من خلال الإعلانات ـ ويعزز الصور النمطية لديه، ويؤدي إلى النضج المبكر للأطفال، ويعزز روح العنف عندهم، ولكن في المقابل إذا أحسن استخدامه يمكن أن يكون عاملاً مساعداً في التنشئة الاجتماعية، فهو يستطيع أن يغرس القيم الاجتماعية الإيجابية، وأن يعزز شعور الانتماء الوطني والقومي، ويمكن أن يزود الأطفال بالمعلومات الجديدة التي من الصعب معاينتها مباشرة، وكذلك يمكنه أن يزيد في ثروته اللغوية، ويعلمه بعض أنماط السلوك الجيد. أي أن بإمكانه المساهمة في تكوين شخصيته وبناء ثقافته.
تسعى هذه الورقة إذن إلى التعرف على الدور الذي يلعبه التلفزيون في حياة الطفل العربي وخصوصاً في مجال ثقافته.ويفترض العنوان المقترح لهذه الورقة أن للتلفزيون دوراً مزدوجاً في حياة الطفل العربي وثقافته قد يكون إيجابياً أو قد يكون سلبياً، تلفزيون الأطفال:
لا يقتصر مفهوم التلفزيون على الوسيلة الإعلامية المعروفة التي تستقبل البث التلفزيوني من إحدى المحطات، محطات البث المرئي الأرضي أو الفضائي وما يستقبله الأطفال من برامج سواء كانت موجهة إليهم أو للكبار؛ بل يتعداه إلى أي استخدام يقوم به الأطفال لجهاز التلفزيون سواء كان لمشاهدة أفلام الفيديو أو الأسطوانات المدمجة CD & DVD أو استخدام شاشته للألعاب الألكترونية، ويشمل كذلك استخدام شبكة الإنترنت لاستقبال ما تبثه المحطات التلفزيونية من برامج عبر الشبكة.
ويعود هنا سبب تبنينا لهذا المفهوم إلى ما يلي:
*أولهما طول الفترة التي يقضيها طفل ما قبل المدرسة في الجلوس لمشاهدة برامج التلفزيون أو مشاهدة أفلام الفيديو، أو أفلام السي دي CD أو دي في دي DVD أو استخدامها في اللعب الإلكتروني مثل ألعاب جيم بوي Game Boy النتندو Nintendo والآتاري Atari وغيرها والتي قد تصل إلى أربع ساعات يومياً.
*ثانيهما تأثير قضاء الوقت مع التلفزيون على الأطفال ـ بغض النظر عما يشاهده ـ والذي رصدته لنا العديد من الدراسات ـ مثل تأثيره على الأنشطة الأخرى والصحة وغيرها.
*وثالثهما التوجه القائم الآن في مجال تكنولوجيا الاتصال نحو استخدام الوسائط المتعددة واستخدام الاتصال التفاعلي مما يعزز أهمية التلفزيون في هذا المجال يوماً إثر يوم، مع إمكانية استقباله عبر الإنترنت والهاتف المحمول مما يقود إلى اندماج في وظائف وسائل الاتصال.
البرامج التلفزيونية التعليمية:
نعني بها هنا: برامج المعلومات والبرامج ذات الأهداف التعليمية التي صممت خصيصاً للأطفال لتهيئتهم للمدرسة أو مساعدتهم في دراستهم. ومن أمثلتها برامج (افتح يا

سمسم) الذي أنتجته مؤسسة الإنتاج البـرامجي المشترك لدول مجلس التعاون الخليجي وبـرنامج (المناهل) الذي أنتجه التلفزيون الأردني، وكلاهما نسختان معربتان من بـرنامجين أمريكيين هما على التوالي Sesame Street & Electric Company. وهناك بـرنامج (سلامتك) للتوعية الصحية وبـرنامج (قف) للتوعية المرورية من إنتاج مؤسسة الإنتاج البـرامجي المشترك لدول مجلس التعاون الخليجي. وكذلك هناك العديد من البـرامج التلفزيونية التعليمية التربوية التي تنتجها إدارات الإعلام التربوي في وزارات التربية والتعليم في الأقطار العربية، وهناك محطات خاصة بالبـرامج التعليمية مثل القنوات الفضائية المصـرية التعليمية على النايل سات Nile Sat، ومثل محطة إقرأ التابعة ل: أرت ART وما تقدمه من بـرامج.

البـرامج التلفزيونية الترفيهية:

نعني بها هنا: تلك البـرامج التي يتعرض الأطفال لمشاهدتها والتي لا يكون لها هدف تربوي أو تعليمي واضح مثل الرسوم المتحركة والبـرامج الدرامية ـ المسلسلات والأفلام ـ والرياضية والموسيقية والغنائية والألعاب.

ثقافة الأطفال:

نعني بها هنا: محصلة الخبـرات العملية والنظرية التي تشكل شخصية الأطفال التي اكتسبها عن طريق التجربة الحسية والعمليات التربوية والتعليمية والتنشئة الاجتماعية، والتي يلعب التلفزيون دوراً رئيسياً ومتميزاً فيها.

ثقافة التلفزيون

تعني هنا: مضامين البـرامج التي يتعرض الأطفال لمشاهدتها ـ بغض النظر عن هدفها ـ مثل الرسوم المتحركة والبـرامج الدرامية والرياضية والموسيقية والغنائية والإعلانات والأفلام والألعاب، كذلك ما تخلفه ظروف المشاهدة من سلوك وعادات اجتماعية لدى الأطفال.

يحدد مضمون التلفزيون طبيعة الثقافة التي يقدمها، وإذا كانت البـرامج التي تقدمها معظم التلفزيونات العربية وفضائياتها هي بـرامج أجنبية ـ وتحديداً أمريكية ــ لذا يصبح تعرفنا على مضامين بـرامج التلفزيون الأمريكية سيعيننا في فهم أي نوع من الثقافة يستقبل الأطفال العرب.

ويكتب ناثان سيبا Nathan Seppa، عضو هيئة تحرير نشرة مونيتور التي تصدرها الرابطة الأمريكية النفسانية ـ مقالة بعنوان يبقى تلفزيون الأطفال غاطساً بالعنف ملخصاً فيها النتائج التي ظهرت في الدراسة القومية التي أجريت في الولايات المتحدة عام 1996 للعنف التلفزيوني وغطت بـرامج 23 قناة وبناء على تلك الدراسة تظهر الأرقام التالية:

- 58% من البـرامج احتوت على العنف
- 73% من البـرامج احتوت على العنف دون تأنيب أو نقد أو جزاء له.
- 58% من البـرامج ذات سلوك عنف مكرر.

على سبيل المثال 40% في التلفزيون بادرت بأحداث العنف شخصيات صورت على أنها نماذج جذابة للأطفال تعتبـر أبطالاً. ومثلا قدم فيلم كارتون أربعة أبطال يستخدمون قوتهم الخارقة لضـرب الأشرار الذين يحاولون تجميد العالم. ولكن الأشرار فروا سالمين دون عقاب وهنأ الأبطال أنفسهم. ويقول: شاهد الأطفال مقترفي الاعتداء على أنهم جذابون يستخدمون العنف الذي يبدو مبـرراً ضد الضحايا، الذين عانوا نتائج ضئيلة ولا يظهر هؤلاء المعتدون أي تأنيب ضمير. ولا يتم تأنيب المعتدين في هذه العملية. ومع أن هذه الشخصيات رسوم متحركة فإن الأطفال الصغار لا يميزون جيداً بين الحقيقة والخيال.

وفي مقالة بعنوان: The Reflection on the ScreenTelevisionصs (Image of Children تستعرض كاثرين هينتز نولز Katharine Heintz Knowles تحليلات لصورة الطفل في التلفزيون وما يحفزه في بـرامجه، وقد رأت بأن إحدى الطرق لتحديد ما يمكن أن يتلقاه الأطفال من رسائل تلفزيونية وذلك بالنظر فيما يحفزهم على مشاهدته، وحوافز الشخصيات التلفزيونية يمكنها إرسال إشارات مؤثرة للأطفال حول أهمية وقيمة جميع أوجه الحياة وقد وجدت دراستها هذه بأن في معظم الأحوال فإن البـرامج الرومانسية تحفز الأطفال ضعف ما تفعلها الأمور المتعلقة بالمدرسة وكانت النتائج الرئيسة كما يلي:

- 53% تحفزهم بالعلاقات مع أقرانهم
- 36% تحفزهم الرياضة والهوايات
- 24% تحفزهم الرومانسية
- 24% تحفزهم علاقات العائلة
- 16% يحفزهم المجتمع أو المجتمع المحلي
- 15% تحفزهم الأمور المرتبطة بالمدرسة
- 1% يحفزهم الدين أو الأمور الروحية
- 70% من شخصيات الأطفال في العروض الخيالية ذات أعمال اجتماعية إيجابية بينما هناك 40% ذات أعمال عدائية للمجتمع (شخصيات سجل لها أكثر من سلوك).

إذن أي ثقافة هذه التي يقدمها Child Behaviors Most أكثر أنواع سلوك الأطفال إثابة في التلفزيون، التلفزيون لأطفالنا التي تبـرر العنف وتمجده ويمر المعتدي دونما جزاء أو تأنيب والتي لا تستطيع تحفيز العلاقات الاجتماعية ولا تحفزهم دينياً.

من هم الأطفال ؟

أصدرت الأمم المتحدة اتفاقية حقوق الطفل وصادقت عليه دولها عام 1990 وتحدد هذه الوثيقة الطفل بأنه: (كل إنسان لم يتجاوز سنه الثامنة عشرة، ما لم تحدد القوانين الوطنية سناً أصغر للرشد). (الأمم المتحدة: اتفاقية حقوق الأطفال، ص 2).

ومن الضـروري أن نفهم هذه المرحلة الحرجة والحساسة في حياة الإنسان، فالطفولة ليست مرحلة واحدة فالإنسان يمر عبـر مراحل مختلفة تشكل أساساً لبناء شخصيته، ويرى أريكسون Arixon في نظريته حول النمو النفسي وجود ثمانية مراحل لحياة الإنسان هي:

الرضاعة Infancy

الطفولة المبكرة Early Childhood

عمر اللعب Play Age

عمر المدرسة School Age

المراهقة Adolescence

الرشد المبكر Young Adulthood

الرشد Adult hood

النضج Maturity (Perkins 1975: p. 241

وتمثل المراحل الثانية والثالثة والرابعة مرحلة طفل ما قبل المدرسة. وتمتد هذه المرحلة من عامين إلى سبعة أعوام، ويرى بيركنز Perkins مرحلة الطفولة المبكرة هي من عمر سنتين أو ثلاث إلى عمر خمس أو ست سنوات وهي فترة من النمو المستقر وذات نشاط عضلي كبير، ودور استكشافي من خلال الخيال يتوازى مع اللعب مع رفاق العمر، والتماهي مع الكبار، وهي فترة من التنشئة الاجتماعية المركزة لتلبية الحاجات والتوقعات لحياته في المدرسة باعتبارها مؤسسة ثقافية مختلفة عن البيت (Perkins 1975: p. 302).

وتتميز هذه المرحلة كما يرى العالم السويسـري بياجيه Piagate بنمو معرفة الأطفال متمثلة بنمو لغته والنمو السـريع للمفاهيم لديه.(Perkins 1975: p. 343).

يكون الأطفال في هذه المرحلة متمحورين على الذات جداً Very Self Centered، ولذلك ـ من الأرجح ـ أن يهدد الأطفال بـروز الصـراع بين ذاته والتوقعات الثقافية، إنها المرحلة التي يزداد فيها بصورة ملحة طلب الآخرين من الأطفال خضوعه للتوقعات الثقافية، وتظهر استقلاليته المتزايدة في قدرته على الابتعاد عن أمه دون ضيق، واشتراكه مع أقرانه في اللعب بألعاب متشابهة (Perkins 1975: p. 277).

وفي مرحلة الطفولة المبكرة يعمل الأطفال على نمو عضلاتهم الكبيرة، والتحكم بأجسامهم عن طريق اللعب بالمكعبات واستعمال الأقلام الملونة التي تعلمهم التحكم بعضلاتهم.

وفي هذه المرحلة تسيطر العمليات الإدراكية على معظم مرحلة الفكر التحضيري للأطفال، حيث أن قدرتهم المتزايدة على استعمال اللغة تمنحهم رموزاً وإشارات للتجارب المختلفة. إلا أن الأطفال في هذه المرحلة لا يستطيع فهم ثبوتية الأرقام والأحجام لأن إدراكه يسيطر على عمليات الفكر لديه ((Perkins 1975: p. 344.

ويرى جين بياجيه Jean Piagate أن مراحل تطور الأطفال تبدأ من الولادة وحتى فترة المراهقة وهي مرحلة الذكاء الحركي (منذ الولادة وحتى سنتين)، ومرحلة الفكر

التحضيري (سنتين ـ سبع سنوات) ومرحلة العمليات المادية الحسية (7 إلى 11 سنة) والعمليات الصورية الشكلية (11 إلى 15).
ويعتقد بياجيه Jean Peagate أن النمو الإدراكي يتم حين تتكون في العقل التراكيب الإدراكية التي تسمى منظومة Schemata، وتستعمل المنظومة للتنظيم والتكيف مع البيئة المدركة. وتتغير هذه التراكيب عن طريق الاستيعاب ودمج المعلومات الإدراكية الحسية الجديدة في التركيب الإدراكي الحسي الموجود، عن طريق التكيف، وهو عبارة عن تكوين منظومة جديدة تدمج المعلومات الإدراكية الحسية، التي لا تندمج مع التركيب الموجود (Perkins 1975: p. 343).
ومن خلال هذا التوصيف لمرحلة الطفولة المبكرة يمكننا أن نستخلص أهم العناصـر التي تميز مرحلة الطفولة المبكرة، والتي يمكن أن يكون للتلفزيون دوره في التأثير فيها إيجاباً أو سلباً وهذه العناصـر هي:
الفردية واستقلالية الأطفال في مواجهة خضوعه للآخرين.
الاستكشاف والخيال.
اللعب والنشاط العضلي الكبير (كثرة الحركة).
نمو المعرفة، اللغة والمفاهيم (العمليات الإدراكية).
تطور وتعديل المفاهيم الاجتماعية والمادية والخطأ والصواب.
تعلم الارتباط عاطفيا بأشخاص خارج نطاق الأسـرة.
وهكذا يمكننا تلخيص مجموعة من الحاجات الأساسية للطفولة المبكرة وهي تتمثل بما يلي:
الحاجات العاطفية.
الحاجات البدنية.
الحاجات (العقلية والمعرفية).
الحاجات الاجتماعية.
وسوف نتعرف فيما يلي على صلة التلفزيون بهذه الحاجات وبما يحققه من تأثيرات على تنمية وبناء شخصية الأطفال وثقافته.
ففي دراسة نشرتها مجلة طب الأطفال الأمريكية عام 1994 أجراها روبـرت سيج ووليام ديتز Robert Sege & William Dietz حول تأثير مشاهدة العنف التلفزيوني على الأطفال قدّما توصيفاً لنمو الطفل وعلاقته بمشاهدة التلفزيون. وقد رأى الباحثان أن الطفل يكون في سنوات طفولته الأولى حساساً ومنفتحاً لأي حافز في بيئته، بحيث يسمح ذلك فيما بعد لنضج حواسه، ولكنه غير قادر على تنقيتها كما يفعل الكبار، أي انطباعات حسية يختبـرها الطفل فإنها ستنبني في أنظمة حواسها. فترك الرضيع لينام أمام التلفزيون أو الطفل ذو العامين ليشاهد الصور المتدفقة عبـر الشاشة الإلكترونية فإنها ستنفذ إلى أعماقه. ومن المهم أن يتعلم الرضيع والطفل كيف يستخدم حاسة البصـر، وكيف يتفوه الكلمات وذلك بالتفاعل مع استجابات الناس من حوله وهذا ما لا يحققه التلفزيون.
ويرى بعض خبـراء النمو النفسي أن ما يتعلمه الطفل في سنواته الثلاث الأولى يفوق ما يتعلمه في باقي حياته. ففي هذه السنوات يتعلم الطفل كيف يمشي، وكيف يتكلم، وكيف يفكر، وهي إنجازات لا تتحقق دون التفاعل مع الآخرين. وفي هذه المرحلة فإن حرمان الطفل الحسي والعاطفي والبدني سيعيق الطفل، بينما ستقود الحوافز الزائدة إلى طفل قلق غير راض وعصبي، ومن ثم يجب حماية الطفل من مشاهدة التلفزيون التي تشكل اعتداءاً على حواسه.
وخلال مرحلة ما قبل المدرسة (3-6 سنوات) فإن عمل الطفل هو اللعب، الذي من خلاله ينمو الدماغ ويتشكل العقل بناء على استجاباته للتجربة، ويحتاج الأطفال في هذه المرحلة للحكايات والأغاني وقراءة القصص له والألعاب والموسيقى والرقص، وجميع هذه الأنشطة تسهم في تكوين علاقات بينه وبين الناس والبيئة من حوله.
إن الرغبات الطبيعية والمهمة الضـرورية للطفولة هي اللعب والاستكشاف وذلك كي ينشغل بفاعلية عملياً وتخيلياً.
ويحتاج اللعب في هذه المرحلة العديد من المتطلبات والمكافآت للتركيز والمثابـرة وحل المشكلات. ولا يستطيع التلفزيون تقديم مثل هذه الفرص الذهبية من الاستكشاف الفعال للواقع والخيال، وكذلك لا يحتاج التلفزيون من الأطفال التركيز أو الانتباه أو الاندماج.
أما الأطفال في المرحلة الابتدائية (من 7-12 سنة) فإنهم يتعلمون من خلال العمل الابتكاري المشترك بعضهم مع بعضهم الآخر. فهم يرسمون خارطة المشاعر وذلك بمساعدة استكشاف تخييلي. وهذه الحياة التخييلية في هذه المرحلة حيوية وهناك حاجة كبيرة للقصص والصور ولذا فإن إغراءات إمكانيات التلفزيون الإبداعية يمكن للاستعاضة عنها من خلال تشجيع حكاية القصص والتمثيل والرسم الموسيقى والحرف اليدوية والألعاب.
وفي هذه المرحلة يطور الأطفال مهارات القراءة والكتابة والعلاقات الاجتماعية وقضاء الوقت بشكل بناء وهذه الأنشطة تحتاج ألا يزاحمها التلفزيون. وعند حوالي الثانية عشرة من عمر الطفل ينضج دماغ الطفل وحواسه إلى درجة محددة بحيث أن مشاهدة التلفزيون لن تكون محددة لشخصيته مثلما هي في المراحل الأكبـر من عمره. وفي هذه المرحلة يكتمل النمو البيو ـ كيميائي ويتم تمييز شطري الدماغ الأيسـر والأيمن. ويبدأ الأطفال مرحلة المراهقة حيث يكونون قد طوروا مهارات القراءة وكونوا هواياتهم وطرق تمضية الوقت وكونوا علاقاتهم الاجتماعية التي تشكل بدائل لمشاهدة التلفزيون. ثالثاً: عادات مشاهدة التلفزيون وإشباع الحاجات
حدد كاتز وجوريفيتش Elihu Katz، E. M. Gorivitch & H. Hass حاجات الأفراد التي تحتاج إلى إشباع عن طريق استعمال وسائل الإعلام أو غيرها بأنها:
الحاجات المعرفية: Cognitive Needsوهي الحاجات المرتبطة بتقوية المعلومات والمعرفة وفهم بيئتنا وهي تستند إلى الرغبة في فهم البيئة والسيطرة عليها وهي تشبع لدينا حب الاستطلاع والاكتشاف.
الحاجات العاطفية Affective needs وهي الحاجات المرتبطة بتقوية الخبـرات الجمالية، والبهجة والعاطفة لدى الأفراد، ويعتبـر السعي للحصول على البهجة والترفيه من الدوافع العامة التي يتم إشباعها عن طريق وسائل الإعلام.
حاجات الاندماج الشخصي: Personal Integrative Needs وهي الحاجات المرتبطة بتقوية شخصية الأفراد من حيث المصداقية، والثقة، والاستقرار، ومركز الفرد الاجتماعي، وتنبع هذه الحاجات من رغبة الأفراد في تحقيق الذات.
حاجات الاندماج الاجتماعي: Social Integrative Needs وهي الحاجات المرتبطة بتقوية الاتصال بالعائلة والأصدقاء، والعالم. وهي حاجات تنبع من رغبة الفرد للانتماء إلى الجماعة.
الحاجات الهروبية Escapist Needs وهي الحاجات المرتبطة بـرغبة الفرد في الهروب، وإزالة التوتر، والرغبة في تغيير المسار بعيداً عن الآخرين. وهذه المتغيرات يمكنها أن تشرح لنا استعمالات المرء لوسائل الإعلام منفرداً على أنه ليس مثل تعرضه لوسائل الإعلام مع الآخرين. (Katz Gurevitch & Hass، 1973، pp. 164-181).
وتوصل كاتز ورفيقاه إلى مجموعة من النتائج حول استخدام وسائل الاتصال والإشباعات التي تحققها للجمهور ومن بينها:
ترتبط حاجات الاندماج الشخصي والحاجات العاطفية بوسائل مختلفة حيث أن نوعية الوسيلة تحقق إشباعات شخصية معينة مرتبطة بنوعية الحاجات، فالكتب هي الأفضل لإشباع الرغبة في معرفة الإنسان لنفسه، والأفلام والتلفزيون والكتب تشبع حاجة الفرد للاستمتاع الشخصي.
يخدم التلفزيون كوسيلة لتلبية الرغبة في الحاجة إلى قتل الوقت، ولكن الكتب والأفلام أكثر إشباعاً لتحقيق الهروب.
السينما والتلفزيون هما أكثر فائدة لتلبية إشباع بعض حاجات الاندماج الاجتماعي، مثل التضامن بين الأصدقاء والعائلة، وأما الحوار في النشاطات الاجتماعية يتم تزويده من خلال الصحافة والكتب (Katz; Gurevitch & Hass 1973، 164-181)
ويقدم نموذج الاستعمال والإشباع Uses & Gratification Approach مجموعة من المفاهيم والشواهد التي تؤكد بأن أسلوب الأفراد أمام وسائل الإعلام أكثر قوة من المتغيرات الاجتماعية والسكانية والشخصية.
ويرى النموذج أن الأفراد يوظفون ـ بفعالية مضامين الرسائل الإعلامية بدلاً من أن يتصـرفوا سلبياً تجاهها. ومن ثم فإن هذا المدخل لا يفترض وجود علاقة مباشرة بين الوسائل الإعلامية والتأثيرات على الجمهور، ويفترض بدلاً من ذلك أن الجمهور يستخدمون الوسائل لأمور كثيرة، وتلك الاستخدامات تكون عوامل وسيطة في عملية التأثير.
يشكل التعرض لوسائل الإعلام جانباً من بدائل وظيفية لإشباع الحاجات التي يمـكن مقـارنتهـا للوملة الأولـى بوظـيـفة قضـاء الفـراغ لدى الإنسـان (Katz، Blumer & Gurevitch، 1974، p.12).
إن هذا المدخل يفترض بأن إشباع الحاجات يتم ليس فقط من خلال التعرض إلى وسيلة إعلامية محددة، بل يتم كذلك من خلال السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه الوسيلة (Katz، Blumer & Gurevitch، 1974، p. 12).
فنحن قد نحب أن نستمع إلى الراديو ونحن وحيدون، ونحب أن نشاهد التلفزيون مع أفراد العائلة في ظروف معينة نفضل قراءة الجريدة وفي ظروف أخرى نفضل عنها قراءة

قصة، ويتوقع المتلقي أن ينال من خلال سلوكه في استعمال وسائل الإعلام بعضاً من أشكال المتعة لإرضاء الحاجة لديه (مثل الحاجة إلى الاسترخاء وإلى قضاء وقت الفراغ وإلى الترفيه). والمبادرة في ربط إشباع الحاجات باختيار الوسيلة المناسبة إنما يخضع للمتلقي ذاته في عملية الاتصال الجماهيري، وهذا النموذج يرى بأن الناس مدينون لوسائل الإعلام لسد حاجاتهم أكثر من كونها عامل تأثير عليهم. فالنموذج يضع قيوداً قوية على التنظير القائل بالتأثير المباشر لمضمون وسائل الإعلام على المواقف والسلوك.
رابعاً: عادات مشاهدة الأطفال للتلفزيون
إن اهتمامنا بتأثير التلفزيون على الأطفال يكمن في: أن مشاهدة التلفزيون أصبحت تستهلك من وقت الأطفال أكثر من أي نشاط آخر، باستثناء النوم، ولا عجب أن يطلق عليه بعضهم اسم جليس الأطفال، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن أطفالاً عديدين في مجتمعاتنا اليوم يجلسون مع التلفزيون أكثر مما يجلسون مع والديهم.
وفي إحصائية أمريكية وجد بعض الباحثين أنه في المتوسط يوجد في البيت الأمريكي جهاز تلفزيون يعمل خمس ساعات ونصف، ويشاهد المرء في المتوسط منذ الثانية من عمره حتى 65 سنة ما يعادل تسع سنوات طيلة حياته. وقبل تخرج العديد من تلاميذ الثانوية فإنهم يكونون قد شاهدوا ما يزيد عن عشرين ألف ساعة، وبالمقابل فإنهم يكونون قد قضوا خمس عشرة ألف ساعة في المدرسة.
إن التكنيكات التي طورها التلفزيون التجاري والإعلان لديها المقدرة الهائلة على إغواء الأطفال لمشاهدة جميع البـرامج حتى تلك التي لا يريدون مشاهدتها، ومن ثم فإنها تقوم بسلب أوقاتهم من حيث لا يشعرون، وإذا استسلمنا كأسـر لمشاهدة التلفزيون دون أن نعلم أطفالنا كيف يشاهدون ومتى يشاهدون، فإن المشاهدة ستكون ذات جوانب سلبية. فعلى الوالدين أن يعملا على تدريب أطفالهما على المشاهدة النقدية.
هل يمكننا أن نتابع الإحصائيات الأمريكية التالية حول مشاهدة التلفزيون ونتخيل كيف يمكن تطبيقها على الوطن العربي.
- فهناك 250 بليون ساعة مشاهدة في السنة تبلغ قيمتها بمتوسط 5 دولارات للساعة فسيبلغ قيمتها 1،25 تريليون دولار في السنة.
- عدد الدراسات التي تناولت تأثير التلفزيون على الأطفال حوالي 4000 دراسة.
- عدد الدقائق التي يقضيها الآباء أسبوعيا في مناقشة ذات معنى مع أطفالهم هي 3 دقائق.
- عدد الدقائق التي يقضيها الأطفال أسبوعيا في محادثة ألعابهم من الحيوانات المحشوة 186 دقيقة.
- عدد الدقائق التي يقضيها الأطفال – في المتوسط – أسبوعيا في مشاهدة التلفزيون 168 دقيقة.
- متوسط عدد الدقائق التي تستخدم فيها الحضانات في اليوم للتلفزيون هو 70 دقيقة.
- نسبة الآباء والأمهات الذين يرغبون في تقييد مشاهدة أطفالهم للتلفزيون هي 73%.
- نسبة الآباء والأمهات القادرين على تقييد مشاهدة أطفالهم للتلفزيون هي 43%.
- نسبة الأطفال أعمارهم بين 6-4 سنوات الذين سئلوا للاختيار بين مشاهدة التلفزيون أو قضاء الوقت مع الأب، بلغت نسبة الذين اختاروا التلفزيون 54%.
- متوسط عدد الساعات سنويا التي يقضيها الشاب الأمريكي سنويا في مشاهدة التلفزيون هي 1500 ساعة.
- عدد مشاهد القتل التي يشاهدها الأطفال في التلفزيون عند انتهائه من المدرسة الابتدائية تبلغ 8000 مشهد قتل.
- عدد مشاهد العنف التي يشاهدها الأطفال في التلفزيون عند بلوغه الثامنة عشرة من عمره تبلغ 200000 مشهد عنف.
- عدد مشاهد حالات ولادة للحيوانات سنويا تبلغ 2000 مشهداً.
- عدد الإعلانات التي مدتها 30 ثانية ويشاهدها الطفل في المتوسط سنوياً 20000 إعلان.
- عدد الإعلانات التي يشاهدها الإنسان عند بلوغه 65 عاماً هي مليونا إعلان.
- نسبة الذين اعتبـروا أن الإعلانات التلفزيونية جعلت الأطفال ماديين جداً %.
- وتمثل الأرقام والنتائج التالية مؤشرات هامة ذات صلة بعلاقة الآباء بالسيطرة على مشاهدة الأطفال للتلفزيون وعلاقتها بسلوكه وأدائه المدرسي.
- 5%من الوالدين لديهم قوانين حول حجم مشاهدة أبنائهم للتلفزيون.
- 34% من الوالدين يستخدمون دائماً أو أحياناً نظام تصنيف التلفزيون في مساعدتهم في اختيار ما يشاهد أطفالهم.
- ونجد أن نسب تقليد الأطفال للشخصيات التي يشاهدونها هي:
- 15% غالباً، 35% بعض الأحيان، 32% نادراً، 18% أبداً.
- وتتمثل العلاقة بين عادات استخدام وسائل الإعلام والأداء المدرسي فيما يلي:
إذ نجد أن نسب مشاهدة الأطفال للبـرامج التعليمية هي:
- % 8 يشاهدونها دائماً، % 39 غالباً، 39 بعض الأحيان، % 11 نادراً، 3% أبداً.
ونجد أن نسب مشاهدة الأطفال للتلفزيون أثناء القيام بواجباتهم المنزلية تتمثل بما يلي:
- % 45 دائماً، % 12 غالباً، % 14 بعض الأحيان، % 22 نادراً، % 48 أبداً.
– العائلات التي تستخدم الوسائل الإلكترونية أقل وتقرأ أكثر يكون أداء أطفالهم أفضل في المدرسة.
– الآباء والأمهات الذين ذكروا بأن سلوك أطفالهم أقل تأثراً بوسائل الإعلام فإن أداء أطفالهم أفضل في المدرسة.
– الأطفال الذين يشاركون في أنشطة بديلة للوسائل الإلكترونية بدعم من آبائهم أفضل في المدرسة.
– العائلات التي ذكرت بأن التلفزيون يظل مفتوحاً حتى بدون أن يشاهده أحد يكون أداء أطفالهم في المدرسة ضعيفاً.
– الأطفال الذين يقلدون شخصيات التلفزيون أداؤهم يكون ضعيفاً في الدراسة.
– متوسط مدة مشاهدة الأطفال للتلفزيون أسبوعياً هو 25 ساعة. والأطفال الذين يشاهدونه أقل وأداؤهم أفضل في المدرسة.
– العائلات التي تلعب وتمارس أنشطة مختلفة مع أبنائهم لديهم أطفالهم أداؤهم أفضل في المدرسة.
في دراسة قام بها St Peter ورفاقه استغرقت عامين حول أنماط مشاهدة الأطفال الصغار للتلفزيون مع والديهم، وقد وجدت الدراسة بأن معظم بـرامج الأطفال يتم مشاهدتها دون صحبة الوالدين، بينما معظم بـرامج الكبار يتم مشاهدتهم بـرفقتهم، وقد وجدت هذه الدراسة بأن الأطفال الذين يشجعهم والداهم على المشاهدة فإنهم يشاهدون بـرامج أكثر معلوماتية، والأطفال الذين يقيّدهم والداهم في المشاهدة فإنهم يشاهدون بـرامج أقل ترفيهية.
وأظهرت دراسة أخرى بأن الأطفال يقضون في مشاهدة التلفزيون في المتوسط 25 ساعة أسبوعياً، وسبع ساعات ألعاب أو فيديو، وأربع ساعات أسبوعية مع الإنترنت. ويقضي الأطفال المراهقون مع التلفزيون ما بين 28-21 ساعة أسبوعيا وهذا أكثر من أي نشاط آخر باستثناء النوم (Bryuat، 1994).
- يعتمد تأثير التلفزيون على القراءة والنشاطات التعليمية الأخرى ليس على كمية مشاهدة التلفزيون فقط بل أيضاً على نوعية ما يشاهده الأطفال وعلى عمره (Reinking 1990).
خامساً: مجالات تأثير التلفزيون على الأطفال (النافذة السحرية)
أصبح بعض الأطفال منشغلين مسبقاً بالتلفزيون الذي أصبح طاغياً على عالمهم الحقيقي. وبعد حصول جريمة قتل فيها أب لثلاثة أطفال ظلوا يشاهدون التلفزيون منشغلين به عن مقتل والدهم، وقد أجرت جامعة نبـراسكا دراسة ثم سؤال الأطفال فيها: ماذا تفضلون الاحتفاظ بآبائكم أو بأجهزة التلفزيون ؟.
وقد اختار أكثر من نصفهم أجهزة التلفزيون (D.W. CROSS، 1983، p. 221)
كيف ينظر الناس إلى التلفزيون إذن ؟ هذا سؤال جدير بالإجابة لأنه يحدد لنا الدور المتوقع له. فنحن نعرف أن هناك من ينظر إلى التلفزيون باعتباره قطعة ضـرورية لاستكمال أثاث المنزل، والبعض الآخر ينظر باعتباره فرداً غريباً بين أفراد الأسـرة، ولكنه ضـروري لمسامرتهم وتسليتهم، والترفيه عن أطفالهم ومجالستهم، وهناك من ينظر إليه باعتباره مفسدة وهو من عمل الشيطان، وهناك من يراه وسيلة تزود أطفالنا بالخبـرات الضـرورية والمعلومات التي تساعدهم في نموهم النفسي والعقلي. أما علماء الاتصال والتربية وعلم النفس والاجتماع فإنهم ينظرون إليه نظرة موضوعية ترى فيها وسيلة اتصالية لها جوانبها الإيجابية والسلبية في الخبـرات ونوعيتها وكميتها التي يمكن أن يتلقاها الإنسان. ومن هؤلاء ب. آلدريتش ALDRICH الذي تحدث عن أربعة أنماط من التأثيرات السلبية للتلفزيون على سلوك الشباب والصغار والتي تشمل:
- الأفكار المحرفة عن الواقع
- مرض الثلاثين دقيقة
- تأثير المنزل الساخن
- توقع استمرار التسلية الاحترافية في جميع مناحي الحياة (Aldrich 1975، p-p). التأثير الأول: الأفكار المحرفة عن الواقع:
يرى أن هذه التأثيرات تشكل الدافع الرئيسي لمعظم ما تقدمه وسائل الإعلام. وقد بين ذلك من خلال استجابة المرء للمسلسل التلفزيوني المفضل لديه، فمن ناحية عاطفية

يستجيب المرء للتمثيل والقصة. ويعجب بالممثلين ويضحك على النكات، ويشعر بالخوف لحظة الخطر ويشعر بالسخط في لحظة الظلم، ويفرح في لحظة الإنقاذ (النجدة)، ويشعر بالرضا عند الحل، ويترقب الحلقة التالية بالبهجة. وبينما يختبـر المرء كل تلك المشاعر فإنه يتم تزويده بمعلومات ـ وهي في الغالب تأتي كتأثيرات خلفية ـ مثل المعلومات الجغرافية عن المدن والطبيعة والحكومة والقانون والتعليم.. الخ. وهذه المعلومات الحقيقية محدودة ولكنها دقيقة وردود فعل المرء لها تكون سطحية. ويمكن تحديدها وفهمها بسهولة. وإذا نظرنا إلى المستوى الأعمق لاستيعابها وذلك إذا كان المرء لا يسأل عنها، وإذا كان المرء طفلاً يتقبل ما يتلقاه مرافقاً للحقائق الأصلية حول السلوك من اتجاهات وفلسفات وقيم وعقائد وأفكار السلوك. ومن ثم فإن التعرض المستمر للواقع المحرف يجعل الناس يشبون على اتجاهات، وقيم ومعتقدات غير حقيقية، والتي يحاولون العيش بها. وحيث أن السلوك البشري محكوم عادة بالاتجاهات، والقيم، والمعتقدات، لذا فإن السلوك يعكس أساساً نظام الصواب أو الخطأ. إنه قانون شخصي للسلوك الذي يحدد الأشياء مثل الأمانة، والنجاح والهيبة، والوضع الاجتماعي. ولا سيطرة للمرء على تكوين اتجاهاته وقيمه ومعتقداته، إذ أن المجتمع يفرضه عليه. ولهذا يصبح لوسائل الإعلام قوة في السيطرة على الإنسان، وخاصة أولئك الذين ليس لديهم المقدرة على اختيار تحليلي واضح لكل تلك الأمور. ويتمثل دور وسائل الإعلام بخصوص تشويه الواقع فيما يلي:

أ) تشويه الواقع بتبسيطه، أو تضخيمه، أو تجاهل القضايا المثيرة للجدل حول التغير الاجتماعي.

ب) تلعب دوراً محافظاً بخصوص الاتجاهات، والقيم، والمعتقدات، بطريقة مسطحة.

ج) تزويد الإنسان بعالم خيالي حيث تصبح أحلام المرء كأنها حقيقية. التأثير الثاني: وهو يتمثل بمرض الثلاثين دقيقة

تستند فكرة هذا التأثير على حل المشاكل بمدة بسيطة، سواء أكانت هذه المشاكل شخصية، أو وطنية، أو دولية، حيث يوجد دائماً حل لكل مشكلة معقدة، ومن ثم فإن التغيير النفسي (السيكولوجي) يمكن أن يتم بسهولة وبمحاولة واحدة. ففي الأعمال الدرامية نرى كيف أن الحل يأتي دائماً في الدقائق الأخيرة، وبدون بذل الجهود يتم ذلك ويتغير الناس. ومن أسوأ التأثيرات المتراكمة لـ (مرض الـ 30 دقيقة) تعزيز فكرة النجاح الفوري. ومن ثم تصبح المعادلة النظرية لهذه المسألة كالتالي: مشكلة واحدة + محاولة واحدة = نجاح فوري. وتصبح (معضلة) الثلاثين دقيقة مأساوية، عندما ينمو الصغار مع وسائل الإعلام، ويوظفون هذه الأفكار السطحية دون أن يعرفوا عمق عواطفهم، ومن ثم يعملون على العيش بناء عليها. ومثل هؤلاء لن ينجحوا بسبب مشكلاتهم العاطفية، لأنها تخضع للتغير السـريع، ولأن حل المشكلات المعقدة ليس سهلا تحقيقه كما يتم في التلفزيون.

التأثير الثالث: تأثير البيت الساخن:

وهو يعني دفع الصغار إلى عالم النضج، بشكل أبكر مما يمكن أن يتحمله نموهم العاطفي. ذلك لأن المشاعر ليست كالكهرباء يمكنها أن تسـري في ثوان قليلة. ولا يعني حصوله على معلومات عن عالم النضج (عالم الكبار) مقدرتهم على استخدامها بحكمة. ولذا فإن تعلم الفرق بين التفكير والعاطفة هو أفضل السبل للسيطرة على تأثير البيت الساخن، بحيث لا يسيطر هذا التأثير على المرء واكتساب هذا النوع من السيطرة يعطي المرء الحرية الحقيقية للاختيار.

ويدفع هذا التأثير المرء ـ إذا كان صغيراً ـ إلى التصـرف على أنه كبير، وعلى العكس إذا كان المرء كبيراً فإنه يتصـرف وكأنه صغير، مما يجعل الحياة صعبة بالنسبة للجميع.

التأثير الرابع: توقع الترفيه المحترف باستمرار في الحياة:

يتدفق يوميا الترفيه المحترف إلى حياتنا، مما يزيد المقدرة على تقييم الأداء في المعروض. ومع مرور الوقت، فإن المرء لا يتوقع فحسب أن يجد دائماً الترفيه، بل يتوقعه ترفيها احترافيا ذا مستوى عال، لذا فإن الأطفال عندما يشاهدون البـرامج التعليمية مثل "افتح يا سمسم" و"المناهل" أو غيرهما، تقوم بوظيفة تعليمية تهيئ الأطفال للمدرسة إلا أن لها تأثيراً جانبياً آخر وهو الترفيه الذي يعلم. ومن ثم يذهب الأطفال إلى المدرسة وهو يتوقع الترفيه في المدرسة.

وهذا يدعونا إلى التساؤل حول تأثيرات التلفزيون على النمو المعرفي والثقافي للأطفال وما يرافقه من تأثير على مهارة القراءة والإنجاز الأكاديمي.

مشاهدة التلفزيون واكتساب المهارات اللغوية والتعليمية:

يشمل اكتساب المهارات اللغوية والتعليمية مجال تعلم اللغة والقراءة والأداء الدراسي وصلتها بمشاهدة التلفزيون:

اكتساب مهارة اللغة: يرى العديد من الباحثين أن المشاهدة الزائدة للتلفزيون لها تأثيراتها على الطريقة التي بها تنمو عقول الأطفال.

ومن بين هذه التأثيرات ما يلحظه المرء في جانب اكتساب الطفل للغة، ففي السنوات الأولى المبكرة حيث يكون الدماغ مطواعاً وحساساً، فإن مشاهدة التلفزيون تطيل في الوظائف المهيمنة للجانب الأيسـر للدماغ مما يسبب بحالة ما يشبه النشوة، فحينما يشاهد الطفل أكثر من 20 ساعة أسبوعياً فإن التلفزيون سيثبط هذا جديا نمو الوظائف اللفظية والمنطقية للجانب الأيسـر للدماغ. ويتم إعاقة النمط الذي يحتاجه الدماغ لنمو اللغة بمشاهدة التلفزيون أثناء هذه المرحلة اللغوية الحساسة للطفولة، وقد يكون أكثر صعوبة اكتساب اللغة فيما بعد. وبينما لم توثق الدراسات عموماً تأثر معرفة الكلمات والألفاظ إيجاباً أو سلباً بالتلفزيون، إلا أن طلاقة الإبداع اللفظي أقل لدى الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون أكثر وذلك لأن المشاهدة لا تترك المجال لهم للتفاعل في اللعب والمحادثات.

اكتساب مهارة القراءة: وتختلف مشاهدة التلفزيون جذرياً عن عملية القراءة لأنها عملية تفاعلية، فالقراءة فيها نوع من المشاركة والرجع، فحينما تقرأ يكون لك اختيار إعادة القراءة والتوقف والتفكير ووضع الخطوط الحمراء تحت الأسطر مما يزيد إحساسك بالوعي بالمادة التي تقرأها، فالقراءة بفاعلية تخلق المعلومات التي نريد تثبيتها في عقلنا الواعي. أما الصور في التلفزيون فإنها لا تتطلب شيئاً من هذا النوع. إنها تتطلب أن تكون عيناك مفتوحة، فالصور تنفذ وتسجل في الذاكرة سواء فكرت بها أم لا. إنها تنسكب داخلك كسائل في إناء.

وتنتشر محلات أشرطة الفيديو والأسطوانات المدمجة أكثر عن محلات بيع الكتب اليوم، ووثقت العديد من الدراسات انخفاض معدل معرفة القراءة والكتابة في الثلاثين سنة الماضية. كما أن مشاهدة التلفزيون يعتبـر نشاطاً أسهل ومفضلا بالمقارنة مع تحدي القراءة، خاصة للأطفال الذين لم تنمُ مهارات القراءة لديهم بطلاقة.

ويتطلب التلفزيون قليل من التركيز، ويقدم الصورة الذهنية الإلكترونية ويساعد بسلبية، بينما تستوجب القراءة لفت الانتباه والأفكار والتركيز بدقة. كما يحتاج التلفزيون مدة أقصـر للانتباه بينما تحتاج القراءة مدة أطول. وأشارت الدراسات بأن الذين لا يشاهدون التلفزيون بكثرة يتعلمون القراءة بشكل أسهل من الذين يشاهدون بكثرة. يرى ريموند كورنتين وتانيس ما كبث ويليامز عملية تعلم القراءة بطلاقة يتطلب اكتساب مهارة القراءة بطلاقة تدريباً معقولاً وهو صعب على معظم الأطفال.

ـ يمكن أن يؤثر التلفزيون على اكتساب الأطفال على مهارات القراءة المبكرة بطريقتين:

أ) القراءة بطلاقة تأتي فقط من خلال التدريب ومعظم الأطفال يحتاجون إلى تدريب متكرر لمهارات القراءة قبل أن تصبح القراءة متعة. وفيما يحل التلفزيون محل الوقت الذي من المفترض أن يقضيه الأطفال في التدريب على القراءة يتأخر اكتساب الأطفال لمهارات القراءة (Comstock 1991).

ب) وحينما يشاهد الأطفال أفلام الكارتون والبـرامج التلفزيونية الأخرى فإنه على الأغلب أن يقضي وقتاً أقل مـع الكـتب والـوسائل المطبوعــة الأخـرى Mac .(Bet، (1996

تأثيرات التلفزيون على القراءة والإنجاز الأكاديمي والتهيئة للمدرسة:

لا يحل التلفزيون التعليمي محل الخبـرات التعليمية القيمة الأخرى فمشاهدة بـرامج التلفزيون التعليمي هي نمط من جملة أنشطة، مثل القراءة أو أن يُقرأ للطفل ونشاطات تربوية منزلية أخرى لما قبل المدرسة. وعلى النقيض فإن مشاهدة الرسوم المتحركة التجارية قد تحل محل الكتب والقراءة. وتتنافس مشاهدة بـرامج التلفزيون التعليمي مع ألعاب الفيديو فالذين يقضون وقتا مع ألعاب الفيديو يقضون وقتا أقل في مشاهدة بـرامج التلفزيون التعليمي.

استخلص رايت ورفيقه هيوستن John C. Wright and aletha C. Huston في دراستهما حول تأثيرات مشاهدة للتلفزيون التعليمي على القراءة والإنجاز الأكاديمي لأطفال ما قبل المدرسة من ذوي الدخل المنخفض مجموعة من النتائج وقد وجدت هذه الدراسة مايلي (Wright and Aletha C. Huston May، 1995):

أن ليست جميع المشاهدات متساوية لدى ذوي الدخل المنخفض وذوي الدخل المتوسط. إذ أن الذين يشاهدون التلفزيون التعليمي يقضون وقتا أقل مع الرسوم المتحركة وبـرامج الكبار. وعلى النقيض فالذين يشاهدون الرسوم المتحركة بكثرة يشاهدون بـرامج الكبار بكثرة أيضاً ونجد أن هؤلاء لا يوجد لديهم بيئة منزلية داعمة وحافزة لهم.

يظهر أن مشاهدة بـرامج التلفزيون التعليمي مبكرا تسهم في جاهزية الأطفال للمدرسة. وقد كان أداء الأطفال عندما كانت أعمارهم ما بين 2-4 سنوات شاهدوا بـرنامج (Sesame Street) والبـرامج المعلوماتية الأخرى أفضل في اختبارات القراءة والحساب والمفردات الجاهزة للمدرسة من أولئك الذين لم يشاهدوا تلك البـرامج.

مشاهدة الرسوم المتحركة غير التعليمية تظهر نمطاً متسقاً من التأثيرات في الاتجاه المضاد لفوائد تأثيرات مشاهدة البـرامج المعلوماتية.

الأطفال ما بين 6-7 سنوات الذين اعتادوا مشاهدة البـرامج المعلوماتية أدوا أداء أفضل في اختبارا استيعاب القراءة وفي أحكام المدرس على تكيفهم مع المدرسة في الصفين الأول والثاني، وعموماً فإن هناك أهمية أقل لتأثيرات مشاهدة التلفزيون بين الأطفال الأكبـر سناً من الأطفال الأقل سناً.

مشاهدة بـرنامج (Sesame Street) والبـرامج المعلوماتية الأخرى هي جزء من رزمة تجارب التي تعزز الجاهزية للمدرسة. وهي ليست عرضية في هذه الرزمة ولكنها تقدم إسهاماً مستقلا في اكتساب الأطفال لمهارات متصلة بالمدرسة.

تقدم هذه المشاهدة إسهاماً يتجاوز خصائص منزل الأطفال وتاريخه. والفروق المرتبطة بمشاهدة التلفزيون التعليمي فإنها تحصل حتى عندما نأخذ في الاعتبار مهارات الأطفال

اللغوية الأولية وتعليم العائلة والدخل ونوعية بيئة المنزل. John C. Wright and aletha C.) (Huston May، 1995.
وأظهرت الدراسات بأن الأطفال الذين يشاهدون البـرامج التعليمية المعدة بعناية لتلائم أعمارهم مثل (افتح يا سمسم Sesame Street) فإنهم في عمر 5 سنوات يكون أداؤهم أفضل في مهارات ما قبل القراءة من أولئك الذين لا يشاهدونها باستمرار أو لا يشاهدونها على الإطلاق (MacBeth، 1996).
ـ وأظهرت الدراسات نفسها بأن الأطفال في عمر 5 سنوات الذي يشاهدون أفلام الرسوم المتحركة (الكارتون) والبـرامج الترفيهية الخاصة أثناء مرحلة ما قبل المدرسة فإن أداؤهم يكون أضعف في مهارات ما قبل القراءة، (MacBeth، 1996).
ـ الأطفال ما بين 5-3 سنوات في هذه المرحلة الحرجة من نمو الدماغ لتنمية مهارات اللغة والمعرفة. يمكن أن يؤثر مدى المشاهدة الكبيرة للتلفزيون على نمو الشبكة العصبية للدماغ، وتحل المشاهدة محل الوقت الذي من المفترض أن يقضيه الأطفال من نشاطات أخرى وفي التفاعل اللفظي، مما يؤثر على النمو المعرفي المبكر للطفل (MacBeth، 1996).
وجدت دراسة أمريكية شاملة ـ على المستوى القومي ـ أن التلاميذ وأطفال المدارس الأكبـر سنا يقضون في مشاهدة التلفزيون أربعة أضعاف ما يقضونه مع واجباتهم المنزلية Office of education research and Improvement) 1990) وأن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون كثيراً (أكثر من 4-3 ساعات يومياً) هم الأقل من حيث ِرات القراءة. وفي دراسة أخرى ظهر أن وجود التلفزيون خلفية أثناء عمل الواجبات المنزلية والدراسة يتدخل في عملية التركيز على المهارات والمعلومات (Armstrong 1991).
تنمو أنماط مشاهدة التلفزيون التي تتكون لدى الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة كالكرة الثلجية حينما يكبـر وتصبح الواجبات المنزلية أكبـر صعوبة. والأطفال الذين شاهدوا في مرحلة ما قبل المدرسة بـرامج معلوماتية وتعليمية، فإنهم يشاهدون بـرامج معلومات تلفزيونية أكثر حينما يكبـرون ويستخدمون التلفزيون مكملاً للمدرسة. والأطفال الذين شاهدوا بـرامج ترفيهية وأقل منها البـرامج المعلوماتية، فإنهم حينما يكبـرون يستخدمون التلفزيون أكثر للترفيه وكوسيلة لقضاء الوقت (Macbeth، 1996).
تأثير التلفزيون على حاجات الأطفال البدنية وحواسه:
ومع حلول التلفزيون نشاطاً بديلاً لأنشطة أخرى مثل اللعب والرياضة والقراءة وغيرهما فإن المشاهدة تخلق عادات جديدة مثل الجلوس والأكل أثناء المشاهدة ويتعود المرء على الكسل مما يعود بالتأثير على الجسد وحواسه.
بلا شك لا يمكن مقارنة التلفزيون بالبيئة الطبيعية التي تنمو فيها حواس الطفل إذ أنه بيئة فقيرة جداً لتنمية حواس الأطفال، والتجربة الحسية لهم مهمة لخلق نوع من التوازن العقلي والبدني، ولذا نجد أن تأثيرات التلفزيون على الحواس تشمل تأثيره على البصـر والسمع وتأثير الإشعاع والضوء الاصطناعي والبدانة والحرمان من النوم.
مشاهدة التلفزيون وحاسة البصـر: وبالنسبة لحاسة البصـر تقوم العينان أثناء مشاهدة التلفزيون بعدم الحركة وعدم التركيز وذلك بهدف الاستحواذ البصـري للشاشة، بينما الحركة مطلوبة لنمو عينين سليمتين. ومن الشروط المسبقة للرؤية الاستكشاف البصـري وهو ضـروري لتنمية الإحساس بالعمق المنظور. ولا تسهل شاشة التلفزيون ذات البعدين مثل هذا النمو. وتتضح حاسة البصـر عند عمر 12 سنة. والمشاهدة المكثفة للتلفزيون هي من أكثر الأنشطة البصـرية سلبية التي يمكن أن تنمي مهارات الملاحظة لدى الطفل. وكما تؤثر هذه المشاهدة على آليات العين تؤثر على المقدرة على التركيز والانتباه.
مشاهدة التلفزيون وحاسة السمع: وأما بالنسبة لحاسة السمع لا يتم ممارسة الحاسة السمعية بالكامل لأن التلفزيون وسيلة بصـرية أكثر من كونه وسيلة سمعية. والسمع الفعال حاسة تحتاج إلى التنمية. ولكي يتم ذلك يحتاج الأطفال إلى عملية مرتبطة بحافز سمعي مما يجعل الصور العقلية لديهم تستجيب لما يسمعونه، ويؤدي استمرار تشغيل التلفزيون إلى التعتيم على حاسة السمع مع استمرار صوت التلفزيون خلفية صوتية.
مشاهدة التلفزيون والتأثير على السمنة
وجدت دراسة في الولايات المتحدة بأن هناك علاقة بين ارتفاع الكولسترول والسمنة من جهة، ومشاهدة التلفزيون من جهة أخرى، وذلك بعلاقة ارتباط هامة بين المشاهدة وأكل الوجبات الخفيفة والأطعمة التي يعلن عنها أثناء المشاهدة، والإعلان التلفزيوني المستمر عن بعض أنواع الطعام والشراب كالشوكولاتة والمشروبات الغازية والوجبات الخفيفة، تقود إلى عادات غذائية لا يمكن السيطرة عليها من قبل الوالدين مما يقود إلى بعض أمراض التغذية كالسمنة والكوليسترول.
وبسبب استبدال النشاطات مثل اللعب والرياضة والقراءة بمشاهدة التلفزيون فإن ذلك يؤثر في آلية التنسيق للطفل والتوازن لديه ومستوى لياقته البدنية.
مشاهدة التلفزيون والحرمان من النوم
وأما بالنسبة للمشاهدة وتأثيره على الحرمان من النوم فنحن نعرف من خلال التجارب الشخصية المتمثلة بأطفالنا الذين يسهرون لوقت متأخر لمشاهدة التلفزيون، ويعاني الوالدان من إيقاظ الطفل صباحاً للذهاب إلى المدرسة وكيف يذهب وهو يشعر بأنه مرغم على ذلك نتيجة عدم حصوله على النوم الكافي، ويذهب إلى المدرسة نعسان وذهنه غير يقظ مما يؤثر على أدائه المدرسي وعلى علاقته بمدرسيه.
أشارت معظم الدراسات بأن الأطفال يسهرون لوقت متأخر لمشاهدة التلفزيون. وأظهرت أحد هذه الدراسات أن الأطفال في سن الثامنة الذين يشاهدون التلفزيون إلى الحادية عشرة مساء في ليالي المدرسة. ويعلق مدرسوهم بأن الأطفال للعمل بجد بعد سهر ليلة بالمشاهدة يكونون بحالة إرهاق شديد وسـريعي الانفعال، وذلك لأن النوم ضـرورة طبيعية مطلوبة لبناء نظام النمو وضـرورة نفسية أيضاً ؛ حيث يعتبـر المتطلب الأساسي للحلم. والأحلام التي تكون بعد مشاهدة التلفزيون قد تكون مزعجة مع صورة تلفزيونية ذهنية حية تطفو على السطح وتسبب الكوابيس.
التأثير على روح الإبداع والتخيل:
يعتبـر الضجر مكان الفراغ الضـروري لروح الإبداع. ومع تعبئة التلفزيون لوقت فراغ الأطفال، فإن ضـرورة الفراغ لا يمكن أن تستغل. أضف إلى ذلك فإن لعب الأطفال غالباً ما يتم وصفه من قبل البالغين الذين يهدفون في البداية لبيع لعب الأطفال بفكرة موضحة سابقاً أشياء اللعب الجاهزة، مما يبقى القليل للتخيل.
أبعد من ذلك، عندما يمل الأطفال بالصور الذهنية التلفزيونية، فإن قابليتهم الخاصة لتشكيل صور خيالية أصبحت ضعيفة بشدة وتوليد الصور الداخلية تعتبـر حرجة لتنميته، والارتباط العصبي الذي يهيئ الأساس للذكاء والإبداع. وتشير الدراسات التي تحققت من كيف يؤثر مشاهدة التلفزيون في أداء حل مشكلة الإبداع. إلا أن التجاوز المفرط للمشاهدة قد يؤدي إلى تقليل الانتباه والإصـرار والمثابـرة. كما أن عدم التوظيف الصحيح لفرص حل المشكلة يؤدي أيضاً إلى زيادة تحديد أدوار حلول الإبداع.
التأثيرات على التنشئة الاجتماعية:
لا يستبدل التلفزيون باللقاء والتفاعل مع الناس الحقيقيين في ظرف واقعي، ولا يمكن تنمية ثقة الطفل بنفسه في غياب الاتصال مع الآخرين. ولا يمكن للطفل ممارسة كسب العلاقة مع الآخرين وبناء حل المشكلة الشخصية من خلال المشاهدة. أبعد من ذلك، معظم المشاكل في التلفزيون تحل ببساطة شديدة.
أشرنا إلى أن اللعب والنشاط العضلي (وكثرة الحركة) من ميزات الطفولة المبكرة، واللعب يحقق مجموعة من الإشباعات العاطفية حيث يتفاعل الطفل مع أقرانه، ويسد حاجته البدنية التي تحتاج إلى الحركة والنشاط اللذان يساعدان على النمو، ويحقق اللعب كذلك حاجات عقلية ومعرفية باكتساب مهارات ولغة وتصورات وإدراكات جديدة في تفاعله مع الآخرين. فاللعب كما يرى بيرس J.C. Pearce ينمي الذكاء ويدمج طبيعتنا الثلاثية >العقلية والبدنية والعاطفية ويهيئنا لتعليم أرقى، وأفكار خلاقة، وله دوره في تماسك البنيان الاجتماعي، ويساعدنا في التحضير ولأن نصبح والدين فاعلين حين يحين الوقت، اللعب هو القوة الكبيرة في المجتمع والحضارة، وإن هبوط القدرة في اللعب سيعكس نفسه في هبوط المجتمع ذاته (J.C. Pearce 1992، 164). ويرى بيرس Pearce بأن التخريب الذي يصنعه التلفزيون له علاقة ضئيلة بمضمونه، إذ أن تخريبه عصبياً هو في الحقيقة قد خرّبنا، وقد يكون ذلك التخريب أصعب من أن يتم إصلاحه، وذلك يظهر من خلال:
حينما تشاهد العائلة التلفزيون نادراً ما يلعب الوالدان مع أطفالهم فالجميع يجلسون حوله، وحتى أن اللعب بين الأشقاء اختفى، وهكذا فليس هناك إمكانية للعب ولتنمية خيال الأطفال داخلياً، ولعبة النينتندو لا يمكنها أن تحل محل اللعب الخلاق.
تأثير التلفزيون على المقدرة التخيلية وبناء الصور لدى الأطفال
تقول دونا و. كروس Donna & W. Cross في مقدمة كتابها Mieda Speak وسائل الإعلام ليست مجرد وسيلة للتواصل، إنها وسيلة إدراك الواقع. إنها تزودنا بنوافذ على العالم. وكما يقول والتر ليبمان Walter Lippman: نحن لا نرى أولاً ومن ثم نقوم بتعريف ما نراه، نحن نعرف أولاً ما نريد ثم نرى. ففي هذا العالم الخارجي الذي أصبح عظيماً ومضطرباً فإننا نلتقط ما حددته لنا سلفاً ثقافتنا ونميل لإدراك ما قمنا بالتقاطه عن طريق ثقافتنا من صور بصيغة صور نمطية.
ويرى بيرس Pearce بأن التلفزيون حل محل رواية الحكايات في معظم البيوت، وقد حول التلفزيون الراديو من راوي قصص إلى صندوق موسيقى، وحل كذلك محل المناقشات العائلية، وحل محل طاولة العشاء التي كانت مائدة للحديث العائلي، وحيث بتنا نقضي مع التلفزيون وقتاً أطول من الوقت الذي كان الناس يقضونه مع الراديو قبل ظهور التلفزيون، وبينما كان الراديو يساعد في إثارة الخيال وساعد في تنشئة جيل كامل، فإن بـرامج التلفزيون أصبحت مفسدة بشكل مدهش وتقوم بالتخريب. وإذ يقوم التلفزيون بتزويد الرضيع والطفل بفيضان من الصور في الوقت الذي ـ من المفترض ـ أن يتعلم دماغه صنع الصور في داخله، وبينما كانت رواية الحكايات تزود الأطفال

بحافز يجلب معه استجابة للتخيل جاعلا ذلك شاملا جميع طبيعة البشرية الثلاثية، فإن التلفزيون يقوم بتزويد دماغ الأطفال بالحافز والاستجابة معاً كتأثير واحد مزدوج، وهنا يكمن الخطر، إذ يغمر التلفزيون الدماغ باستجابات مزيفة، حيث يفترض أن يتعلم دماغ الأطفال الاستجابة لحوافز الكلمات أو الموسيقى وكنتيجة لذلك فإن المزاوجة بين الدماغ والبيئة يتم القضاء عليها، وينمو قليل من الصور الاستعارية (الخيالية)، ويتم استدعاء قشرة ضئيلة من الدماغ في اللعب، وينمو القليل من البنى الرمزية هذا إذا كانت أصلا سوف توجد.

ونتيجة لذلك فإن عدم وجود مقدرة تخيلية داخلية للطفل سوف تترك دماغه غير مستخدم بشكل ملائم، ولذلك فإن الطفل الذي لا يستطيع التخيل فإنه لا يستطيع التعلم بشكل جيد ولذا يشعر بأنه ضحية للبيئة، وقد أظهرت الدراسات الحديثة بأن الأطفال غير الخياليين يميلون للعنف أكثر من الأطفال الخياليين وذلك لأنهم لا يستطيعون تخيل بديل مناسب عندما تواجههم المشكلات، أو معلومات حساسة يمكن أن تهددهم أو تهينهم، أو عندما تصلهم معلومات غير سارة أو غير مجزية .(J. v. Pearce 1992، 164-166)

وفي كتاب صدر لجيري ماندر (1977 ،Jerry Mander) بعنوان Four Arguments for the elimination of Television طالب فيه التخلص من التلفزيون، كتب يقول:

إذا قررت مشاهدة التلفزيون فليس هنا خيار آخر سوى قبولك لسيل الصور الإلكترونية التي ستأتيك:

وأول تأثير لها إنها تخلق موقفاً عقليا سلبيا. إذ ليس هناك من سبيل لإيقاف هذه الصور.

يظهر أن المعلومات يتم استقبالها في مناطق اللاوعي في الدماغ أكثر من مناطق الوعي التي يحتمل التفكير بها.

وكما وصف جاك إلسون مشاعره نحوها بأن الصور تنفذ من خلاله، إنها تذهب بعيداً داخله، تعبـر وعيه في مستوى عميق من دماغه كما لو أنها كانت أحلاماً.

وكما يرى ماندر في كتابه Jerry Mander، 1977 أما مشاهدة التلفزيون يمكن أن تصنف كنوع من حلم اليقضة، باستثناء أنه حلم غريب، من مكان بعيد، وهكذا فإن المشاهدة تلعب دوراً ضد شاشة عقل الإنسان.

وكما لاحظ هالوران بأنه يسترعي انتباهنا دوماً الجوانب السلبية للتلفزيون أكثر من الجوانب الإيجابية. ومن ثم نستمع دوما إلى اتهامات عديدة لهذه الوسيلة بأنها تعمل إلى هدم القيم والتعود على الكسل، وتحول دون الإبداع والابتكار، وتساعد على بلادة الإحساس، وزيادة الجريمة والعنف، وتسهم في عملية زيادة التوقعات وما يستتبعها من إحباطات.

ولاشك أن إلقاء تبعة كثير من الأمراض الاجتماعية على التلفزيون ليس في حقيقة الأمر سوى مشجب نعلق عليه مشاكلنا (هالوران 1997).

تأثير العنف التلفزيوني على الأطفال:

أجريت في الولايات المتحدة عام 1998 دراسة مسحية على عينـة عشـوائيـة (527 عينة) مكونة من الوالدين الذين لديهما أبناء تتراوح أعمارهم بين 17-2 سنة وكان هدف هذه الدراسة معرفة عادات العائلة التي تستخدم وسائل الإعلام مثل التلفزيون والسينما والفيديو والحاسوب وألعاب الفيديو والإنترنت والموسيقى والإعلام المطبوع، وقد أظهرت الدراسة بعض النتائج المتعلقة بالتلفزيون والعنف وهي:

% 57 من الآباء وافقوا / وافقوا بشدة على أن أطفالهم يتأثرون بالعنف الذي يشاهدوه في الأفلام التلفزيونية. % 81 من هؤلاء الوالدين وافقوا / وافقوا بشدة بشأن قلقهم حول كمية العنف الذي يشاهده أطفالهم في التلفزيون.

% 77 من هؤلاء والوالدين وافقوا/ وافقوا بشدة حول قلقهم بشأن الذي يشاهده الأطفال في أفلام التلفزيون. وهناك أربعة أنواع من العنف التلفزيوني وهي:

العنف الذي لا يلقى أي جزاء، هناك حوالي ثلث بـرامج التلفزيون مثل المسلسلات البوليسية والأفلام، فإن الشخصيات السيئة لا تتلقى أي عقوبة.

العنف الذي لا يرافقه الآلام، وهناك حوالي نصف ما يقدمه التلفزيون من أحداث العنف تمر دونما أذى وألم نفسي أو بدني.

العنف البطولي، حوالي 40% من الأبطال الذين يقترفون العدوان هم شخصيات تقوم بدور البطولة وهي جذابة ومحبوبة.

العنف الذي يعقبه السـرور، وهو نوع سائد في أفلام الكرتون الذي يقود إلى نوع من الضحك مما يفقد الأطفال الإحساس بجدية العنف إذ أنه يرى شيئاً مرغوباً وبدون ألم.

إن نظرة فاحصة إلى بـرامج الأطفال في التلفزيون التي قد تمتد إلى ساعتين يوميا في بعض المحطات، يرينا أن أكثر من خمسين بالمائة منها مستورد، وكثير من بـرامج الأطفال التي ننظر إليها على أنها مجرد رسوم متحركة أو أفلام خيالية ليست كذلك فهي مليئة بالعنف المادي أو اللفظي.

قد صنفت منظمة أمريكية تعنى بتعقب العنف في التلفزيون وكان أساس التصنيف لاحتساب درجة العنف في البـرامج كما يلي:

- درجة قليلة من العنف (صفر – 2 مشاهد) في الساعة.
- بعض العنف (3-6) مشاهد في الساعة.
- أكثر من المتوسط في العنف (7-9) مشاهد في الساعة
- درجة عالية من العنف (10 فأكثر) مشاهد في الساعة

وكان من البـرامج التي صنفت بأنها درجة عالية من العنف ما يشاهده أطفالنا يومياً أمثال بـرامج توم وجيري، وبوباي، وباتمان Batman، وطرزان وسكوبي دو.

ومن البـرامج الدرامية الأجنبية التي شوهدت وتربى على مشاهدتها جيل كامل أو تشاهد:

فيجاس Vegas والشريف لوبو Lobo والرجل الأخضـر Incredible HUlk، المخبـر الخصوصي ماجنوم Magnum P.I.، و Hart to Hart والجزيرة الخيالية Fantasy Island، Xena، Hercules، and the Power Rangers، Buffy the Vampire slayer.

وتستدعي منا هذه البـرامج وغيرها وقفة تأمل لنرى ما هو تأثيرها على الأطفال ؟ ونحن نعلم أن طفلنا العربي يشاهد العديد من هذه البـرامج.

ذكر المعهد القومي للإعلام والعائلة National Institute on Media and the Family أرقاماً مفزعة حول مشاهدة الأطفال للعنف التلفزيوني تتمثل فيما يلي:

مع مرور الزمن سيشاهد الأطفال (الذي يشاهد ما بين 4-2 ساعة يومياً) سيترك المرحلة الابتدائية وقد شاهد 8000 حالة قتل أو أكثر 100000 مشهد عنف) مع مرور الزمن حين يصل الأطفال سن 18 سنة سيشاهد الأطفال في المتوسط حوالي 200000 مشهد عنف من بينها 40000 حالة قتل.

في يوم واحد هناك حوالي من 6-5 مشاهد في الساعة تذاع في بـرامج الذروة التلفزيونية وما بين 25-20 مشهد عنف في الساعة في بـرامج الأطفال الصباحية.

الولايات المتحدة هناك 188 ساعة بث من بـرامج العنف أي حوالي 15% من البـرامج المقدمة.

العديد من الأفلام المصنفة (R) أي محظورة لأقل من 18 سنة، متاحة في أشرطة فيديو وهي تحتوي على مشاهد عنف أكثر مما يعرضه التلفزيون التجاري.

قد رأت الرابطة القومية لتعليم الصغار بأن تأثير العنف في وسائل الإعلام على الأطفال سيكون إلى:

قد يصبح الأطفال أقل حساسية للآلام ومعاناة الآخرين.

على الأرجح أن يسبق الأطفال سلوكاً أكثر عدوانية وإيلاماً للآخرين.

قد يصبح الأطفال أكثر خوفاً من العالم المحيط به.

مشاهدة التلفزيون وردود الأطفال على الأفعال

يتحدث الباحث الإسترالي Erik Peper عن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون ويرى أن ردود أفعالهم تجاه الطوارئ بطيئة، لأنهم حينما يشاهدون التلفزيون يتدربون على عدم الردود على الأفعال. أما الصور في التلفزيون فإنها لا تتطلب شيئاً من هذا النوع. إنها تتطلب أن تكون عيناك مفتوحة، فالصور تنفذ وتسجل في الذاكرة سواء فكرت حولها أم لا. إنها تنسكب داخلك كسائل في إناء. فكما لاحظ ماندر: >المرعب في التلفزيون أن المعلومات تنفذ ولكننا لانقوم بـرد فعل تجاهها. إنها تنفذ مباشرة إلى أقنية الذاكرة ومن المحتمل أن نقوم بـرد الفعل لها فيما بعد، ولكننا لا نعرف آنذاك لماذا نرد على الأفعال ؟ فحينما تشاهد التلفزيون فأنت تدرب نفسك على عدم ردك على الأفعال.

سادساً: التلفزيون التجاري والإعلان بين التضليل وخلق الحاجة واستمالة الخوف:

يمتلك التلفزيون بما يقدمه شكلاً واقعياً من الاتصال فهو ليس كالكتاب مثلاً يقدم كلمة مطبوعة، ولكنه يقدم لنا الواقع مصوراً أو متحركا فهو يخاطب حاسة السمع والبصـر من خلال أساليبه الفنية والتقنيات المتطورة، إن التكنيكات التي طورها التلفزيون التجاري والإعلان لديها المقدرة الهائلة على إغواء الأطفال لمشاهدة جميع البـرامج حتى تلك التي لا يريدون مشاهدتها، ومن ثم تقوم بسلب أوقاتهم من حيث لا يشعرون، وتقوم باستخدام تكنيك استمالة الخوف والتضليل وخلق الحاجات الوهمية.

وإذا استسلمنا كأسـر لمشاهدة التلفزيون دون أن نُعَلِّمَ أطفالنا كيف يشاهدون ومتى يشاهدون، فإن المشاهدة ستكون ذات جوانب سلبية. فعلى الوالدين أن يعملا على تدريب أطفالهم على المشاهدة النقدية كي لا ينجرف الأطفال للوقوع في غواية الإعلان.

تقول دونا و. كروس Donna W. Cross: الحقيقة هي أن الإعلان هو كذب مؤسسي، الكذبات مسامحة، بل تلقى التشجيع - لأنها تخدم حاجات الشركات. بل الحكومة منغمسة فيها لفائدتها ولمصلحتها الخاصة، وحتى الان فإن كذب معظم الإعلانات التجارية التلفزيونية سواء مباشرة أو غير مباشرة هي حقيقة موثقة. يرى ويتقبل

معظم الناس الإعلانات على أنها ليست حقيقية، ومع ذلك لأنهم لا يفهمون الطرق التي يتأثرون بها فإنها ما زالت مقبولة (Donna W. Cross، 1983، p. 18).

إن وظيفة الإعلانات لترويج صفات نوعية خاصة لا يمتلكها منتج ما وإخفاء عيوبها بشاشة غير واضحة، ففي الإعلان كما في الحرب فإن الحقيقة هي الضحية الأولى. وإذا لم يكن هناك حاجة لسلعة محددة على الإطلاق، فإن على صانع الإعلان أن يخلق الحاجة لها، عليه أن يقنعك بأن صحتك وسعادتك سوف تتهدد إذا لم تشتر هذه السلعة (Donna W. Cross، 1983، p. 18).

لقد استخدم التلفزيون تكنيك الخوف أكثر مما يمكن تصديقه ليس لمشاهدين مهددين بالموت والتدمير، ولكن Social Ostracism أو تجريح الكرامة الطوق حول العنف ـ وهو مدرسة الاقتناع. فإذا لم تختر السلعة المناسبة تقول لنا الإعلانات بأن علينا أن نتوقع حدوث بعض أو كل الأمور التالية:

ـ زوجتك سترفض تقبيلك عندما تستيقظ

ـ أصدقاؤك سوف يسفهونك من وراء ظهرك

ـ سوف يوقفك الغرباء في الشارع، ملاحظات ساخرة حول زيك ومظهرك

ـ سوف يحرج أطفالك عند قدوم أصدقائهم إلى بيتك لمقابلتك

ـ قطتك ستعاملك بشكل مختلف

ومن وجهة نظر الشركات فإن لهم تأثيراً مهيمناً على المجتمع كله حيث أن الناس سيقومون بشراء السلع التي ستحافظ على استمرار الصناعة الضخمة التي تدور بسلام (Donna-Cross، 1983، pp. 34-35).

ينمو الدليل يوماً إثر يوم على الإرباك الحاصل نتيجة مشاهدة التلفزيون بين ما هو واقع وما هو تضليل وينقل سام هدرين Sam Hedren في كتابه Network قول الكاتب التلفزيوني بادي شيفسكي Paddy Chayevsky قوله عن التضليل التلفزيوني: (التلفزيون ليس هو الحقيقة نحن نكذب حتى النخاع، نحن نتعامل مع تضليل الإنسان. ليس شيئاً مما نقدمه حقيقة ولكنكم أيها الناس تجلسون أمام التلفزيون يوماً إثر يوم وليلة إثر ليلة وأنتم لا تعرفون سوانا).

بدأتم في تصديق ما ننتجه من أضاليل، لقد بدأتم بالتفكير بأن التلفزيون هو الحقيقة وأن حياتكم الخاصة ليس كذلك فأنتم تفعلون ما يقوله لكم التلفزيون وتلبسون ما يعرض وتأكلون وتربون أطفالكم مثلنا، هذا جنون جماهيري، أنتم مجانين بسم الله، أنتم أيها الناس الشي الحقيقي ونحن التضليل (Sam Hedren 1976، p. 151).

نحن نشاهد اليوم الأضاليل حيث الأفعال غير المنطقية تقوم باعتبارها مضحكة ونسطح ونبسط أنفسنا بحيث أن تكون خارطتنا العقلية هي مرشد أكثر دقة إلى المنطقة الواقعية. ومن ثم فإن التناقض بين الصور في رؤوسنا والصور في الخارج واسع كما هو لدى أسبقياتنا (ما نملكه من صور).

وهناك خطر عظيم حين تحل الأضاليل محل الواقع ويحصل صانعوا تلك الأضاليل على قوة عظيمة في المجتمع تهيمن عليه شريحة ضئيلة غير ممثلة له (Donna Cross، 1983، p. 228). سابعاً: خطوط رئيسة لتأثير التلفزيون

جوانب إيجابية لتأثير التلفزيون

إن التلفزيون وسيلة لابد أن ننظر إليها باعتبارها عاملاً ضمن عوامل أخرى تشكل حياة الأفراد والمجتمعات سلباً وإيجاباً. فأسلوب توظيف التلفزيون والسيطرة عليه يحددان دوره وفاعليته، إلى جانب الأسـرة والمدرسة ومؤسسات التنشئة الدينية والاجتماعية والسياسية.

وتماماً مثلما يمكن للأسـرة الفاضلة التي تعنى بتربية ابنها عناية خاصة تتوقع أن يكون الطفل فاضلا كنتاج لهذه البيئة الصالحة. كذلك يمكن القول عن التلفزيون، فإن ما يقدمه من بـرامج ـ وخاصة تلك الموجهة للطفل والتي يتوقع أن يشاهدها ـ يمكن أن تترك أثرها على الأطفال بناء على محتواها.

وهكذا ننظر إلى التلفزيون على أنه عامل ضمن عوامل أخرى عديدة تؤثر على الأفراد والجماعات والمجتمعات، وعلى أنه وسيلة لها آثارها النافعة والضارة.

ومن الآثار النافعة التي يمكننا الإشارة إليها ما يلي:

زيادة الحصيلة اللغوية عند الأطفال، وتعزيز استخدام اللغة الفصحى لديهم، وأي مراقب في بيت لأطفال الأسـرة يلحظ استخدامات الأطفال لمفردات ما كان له أن يعرفها لولا متابعات المسلسلات المدبلجة بالفصحى والبـرامج التعليمية مثل (افتح يا سمسم) و(المناهل) وغيرها.

فتح آفاق جديدة للتعرف على عوالم مختلفة لدى الأطفال، فهو يتابع مسلسلات عن حروب الفضاء، ويتابع معها صوراً متحركة عن آلات وأجهزة معقدة، تثير خياله وتشده إليها، كما تنقله بعض البـرامج إلى عوامل أخرى من التجارب خلال بـرامج عديدة عن البحار والمحيطات، وعالم الحيوان، والشعوب الأخرى.

تفتح له الباب على مصـراعيه أمام أنماط من السلوك والتجارب التي يمكن أن تكون نموذجاً (للاحتذاء).

تكوين صور ذهنية إيجابية عن العالم من حوله.

نقل التراث الاجتماعي والقيم الاجتماعية الحميدة عبـر بعض المسلسلات والبـرامج الخاصة.

توفير وسيلة تعليمية للطفل تقدم معلومات تسهل العملية التربوية في المدرسة مثل بـرنامج (افتح يا سمسم) و(سلامتك)، و(قف) و(المناهل).

توفير وسيلة ترفيهية للطفل يمكنها أن تكون أحياناً أكثر فائدة أو أقل إيذاءاً من أنشطة أخرى يقضيها الأطفال مع قرناء السوء.

الإسهام في تنشئة الأطفال السياسية.

الارتفاع بمستوى التذوق الفني والموسيقي لدى الأطفال.

ولاشك أن تحقيق هذه العوائد يتوقف بشكل أساسي على عدة عوامل من بينها:

أ) تصميم البـرامج الهادفة للأطفال بحيث تراعى أعمارهم وأذواقهم وتقديم بـرامجهم بشكل جذاب.

ب) استبعاد البـرامج الغربية التي تحمل قيماً غربية وتعبـر عن ثقافة أجنبية.

ج) استبعاد البـرامج التي تحتوي على العنف.

د) مراعاة لجان تنسيق البـرامج لتوقيف بـرامج الأطفال وبـرامج الكبار بحيث لايتم التداخل بينها.

هـ) ألا يترك للأطفال حرية اختيار البـرامج، أو استخدام الفيديو كما يحلو لهم.

ولأننا ندرك أن شرطاً من الشروط السابقة لا يكاد يتحقق في المحطات التلفزيونية العربية، فإننا نضم صوتنا إلى صوت المنادين بخطورة تأثير التلفزيون على الأطفال في الوطن العربي يفرضه عليه. ولهذا يصبح لوسائل الإعلام قوة في السيطرة على الإنسان، وخاصة أولئك الذين ليس لديهم المقدرة على اختيار تحليلي واضح لكل تلك الأمور.

ثامناً: كيف نقيم ثقافة أطفال التلفزيون

قيم التلفزيون في مجابهة مع قيم المؤسسات التعليمية

إن مسؤولية أي مجتمع من المجتمعات تجاه أطفاله تتمثل بنوعين رئيسين من المسؤوليات:

مسؤوليات محددة تجاه تزويدهم بخدمات خاصة تساعدهم على النمو البدني والعقلي والنفسي نمواً معافى لتحقيق نضوجهم السليم. ذلك لأن الأطفال هم أغلى الموارد التي يجب حمايتها لأنها هي التي ستحقق مصالح وحاجات المجتمعات مستقبلاً.

حماية خاصة للأطفال من أنواع الاستغلال، وخاصة استغلال الكبار لهم، ومن ثم فإن قوانين خاصة تحول دون مسؤوليتهم القانونية عن توقيع عقود اتفاقيات أو استخدامهم في العمل أو غير ذلك.

وهذا لا يتحقق بعزل الأطفال ولكنه يتم من خلال الحماية التي تقدمها الأسـرة والقانون لهم، ومن خلال عمليات التنشئة الاجتماعية عبـر المؤسسات المختلفة الأسـرية، والتعليمية، والإعلامية، وللتلفزيون هنا أثر مهمٌ في ذلك.

وحينما توجد بعض المؤسسات الرسمية والإعلامية مثل التلفزيون والتي قد تقوم بالإخلال بمسؤولياتها نحو أطفال المجتمع، فهنا يمكن أن يرفع الصوت مدويا محذراً من خطورة التلفزيون، وتكمن الخطورة في تنشئة الأطفال من مشاهدة التلفزيون حيث يتعرض الأطفال لعالم الكبار، وما فيه من صور للاستغلال والعنف والجريمة والجنس.

وحيث أن شركات إنتاج البـرامج هدفها الأساسي هو الربح ولا يعنيها سوى مصالحها الاقتصادية، فإنها تكون متحررة من نفس القيود الأخلاقية والقانونية المفروضة على المؤسسات التي تتعامل مع الأطفال مثل المدرسة والأسـرة، وفي أحيان أخرى لا يقصد هؤلاء المنتجون الإساءة إلى الأطفال، ولكن تعرض الأطفال لتلك البـرامج الموضوعة لعالم الكبار قد يساء فهمها من الصغار والأطفال الذين يفهمون البـرامج التلفزيونية بطريقة مختلفة عن عالم الكبار، فهم لا يستطيعون فى أحوال كثيرة استنتاج العلاقات بين المشاهد التي يرونها، ولا يستطيعون ترتيب اللقطات لتفسير البـرامج الدرامية، ومن ثم فإن تذكرهم للبـرنامج من جهة نوعية تكون أشبه بالشظايا، فلا يستطيعون أن يبنوا العلاقات بين بـرامج الكبار، ولا نتوقع منهم بذلك أن يستخلصوا عبـرة، أو مغزى من مسلسل درامي يستطيع الكبير أن يتوصل إليه.

ولذا كان النظر إلى التلفزيون على أنه وسيلة خطيرة لا يستوجب النظر إليه على أنه وسيلةً تعليميةً فقط حيث يتم الاستفادة منه كما هو حاصل في بعض المؤسسات التعليمية. بل لابد أن ننظر إليه باعتباره مؤسسة إعلامية يمكنها أن تقوم بمهمة تعليمية لاسيما أن الفرق كبير بين مناهج التعليم الرسمي وبين البـرامج التي أنتجتها مؤسسات عربية أو

أجنبية هدفها أساساً الربح المادي. ذلك أن القيم التي تمتلكها المؤسسات التعليمية تختلف عن المؤسسات التجارية، ويعلق سكورينا على ذلك بقوله:
فالمدرس الجيد والمدرسة الجيدة يعلمان الطالب أن يكون معافى، منكراً للذات ويعلمانه السيطرة على الذات والنشاط وأداء الواجبات والتعاون والمشاركة والتأكيد على الأهداف طويلة الأجل.
أما منتجات وسائل الإعلام التجارية فإنها تعلمه الانغماس بالذات، والبحث عن الطريق الأقصر إلى النجاح من خلال سحر الإنتاج التلفزيوني.
إن برامج التلفزيون تعلمه أن يدين الضحية ويتعاطف مع المجرم، ويسخر من المدرس، ويهزأ بالآباء، وذلك كله ضد تعليمه الرسمي، فماذا نتوقع من الأطفال أن يصدقوا..؟.
إنهم يمارسون ما تعلموه بغظ النظر عن المصدر سواء أكان من المدرسة أم من التلفزيون أم من الأسرة.
وفي تحقيق نشرته جريدة الخليج حول رجال الأمن في المسلسلات التلفزيونية، كانت الصورة لرجل الأمن كما شخصها أحد رجال الأمن كالتالي بأن الشرطي العربي مهزوز والغربي أسطوري لا يقهر.
وكم من المسلسلات والأفلام أو المسرحيات التي شاهدها ويشاهدها الأطفال تقدم لهم صوراً مشوهة أو تقوم بمسخ شخصيات كثيرة للمدرسين ورجال الشرطة، وكم من المواقف والقيم الغربية والمستهجنة التي يشاهدها الأطفال يومياً.
إن خطورة التلفزيون تكمن في قانون الإزاحة الذي يعني أن الوسيلة الجديدة ستحل محل الأقدم منها إذا كانت تؤدي وظائفها براحة أكبر أو بطريقة أكثر إشباعاً وإرضاء لحاجات الإنسان.
ويتمثل دور وسائل الإعلام بخصوص تشويه الواقع فيما يلي:
أ) تشويه الواقع بتبسيطه، أو تضخيمه، أو تجاهل القضايا المثيرة للجدل حول التغير الاجتماعي.
ب) تلعب دوراً محافظاً بخصوص الاتجاهات، والقيم، والمعتقدات، بطريقة مسطحة.
ج) تزويد الإنسان بعالم خيالي حيث تصبح أحلام المرء كأنها حقيقية.
ونخلص من هذا إلى أن التلفزيون يؤثر على نظرة الإنسان إلى ما حوله وعلى قيمه، ويؤثر على قدرته على التمييز بين الحقيقة والخيال، ويعزل بين الناس وبيئتهم ويقدم نماذج للاحتذاء في السلوك والمواقف واللغة.
بأن نظام التقدير للبرامج التلفزيونية يجعل الأطفال أكثر اهتماماً بمشاهدة تلك التي توصي بمنعهم من المشاهدة أو المشاهدة تحت إرشاد الوالدين. وبين الأطفال التي تتراوح أعمارهم بين 9-5 سنوات فإن أكثر الأطفال عنفاً هم الذين يكونون أكثر عرضة لتأثير غواية نظام تقدير الأفلام، فالأطفال الذين قالوا بأنهم يتشاجرون مع غيرهم هم أكثر مشاهدة للأفلام الأشد تقديراً.
نحو رؤية مستقبلية لترشيد استخدام التلفزيون من أجل ثقافة أطفال سليمة
إن الطموح هو أن يكون التلفزيون نافذة تطل على آفاق رحبة نقية تساعد في نمو الأطفال النفسي والعقلي وتساعد في إشباع حاجاته وتهيئته للمدرسة والحياة، ونحن ندرك أن التلفزيون سلاح ذو حدين: فهو قد يؤدي إلى تزييف الوعي، ويؤدي إلى الإحباطات، ويعطل ملكة الخيال، ويشجع الروح الاستهلاكية من خلال الإعلانات، ويعزز الصور النمطية لديه، ويؤدي إلى النضج المبكر للأطفال، ويعزز روح العنف عندهم.
ولكن في المقابل يمكن أن يكون عاملاً مساعداً في التنشئة الاجتماعية، ويستطيع أن يغرس القيم الاجتماعية ويعزز شعور الانتماء الوطني والقومي، ويمكن أن يزود الأطفال بالمعلومات الجديدة التي من الصعب معاينتها مباشرة وكذلك يمكن أن يزيد في ثروته اللغوية، ويعلمه بعض أنماط السلوك الجيد، وذلك كله يحتاج إلى ترشيد استخدامه للخروج من هذا المأزق الإعلامي، وهذا لا يتم بالمطالبة بإلغاء التلفزيون كما فعل البعض ولكنه يتم بمراعاة ما يلي:
أن يتم وضع فلسفة واضحة للتلفزيون فيما يتعلق ببرامج الأطفال ومراحله المختلفة، والتي تأخذ في الاعتبار فلسفة المجتمع والحرص على تنشئة الأطفال تنشئة سليمة نفسياً وفكرياً، وإعداده ليكون مهيئاً للاندماج في المؤسسات المجتمعية المختلفة ومن بينها المدرسة.
أن يتم السيطرة على ساعات المشاهدة وبحيث لا تصبح المشاهدة إدماناً يؤثر على أنشطة حيوية أخرى يحتاجها الأطفال مثل اللعب أو الجلوس مع الأشقاء والوالدين، والمسامرة ومثل رواية الحكايات التي يمكن أن تثير خيال الأطفال وتنميه وكما قال إينشتاين: إذا أردت أن يكون أطفالك ألمعيين احك لهم الحكايات الخرافية، وإذا أردت أن يكونوا أكثر ألمعية احك لهم أيضاً حكايات أكثر.
إنتاج برامج متخصصة للأطفال مراعية التنويع والتشويق: وذلك باستخدام مضامين مختلفة تخدم تنمية شخصية الأطفال عقلياً، وتربوياً ولغوياً، ونفسياً، وباستخدام أساليب فنية تشد انتباهه. على أن يتم إعداد برامج الأطفال المشوقة هذه خبراء من مجالات مختلفة كعلم النفس والتربية والاتصال والاجتماع، مراعين المستويات العمرية لهم وحاجاتهم النفسية والعقلية، وتأخذ هذه البرامج في حسبانها تطور تكنولوجيا الاتصال، والاستفادة من إمكانياتها في إعداد برامج جذابة للأطفال، وخاصة أن تطور تكنولوجيا الاتصال في وقتنا ستؤدي إلى إنهاء عملية الفصل بين المدرسة والمنزل، وهذا مما سيجعل للعائلة دوراً هاماً في الرقابة على الاتصال الإلكتروني، ونحن نتابع الآن بشوق وقلق تجربة الإنترنيت التي يستخدمها الكبار والأطفال، ولسنا ندري ما ستقدم لنا غداً تقنية الاتصال ليسفيد منها الأطفال ولتكون وسيلة مساعدة لتربية موازية للمدرسة.
مراعاة التوقيت في البرامج، بحيث لا تشمل الفترة ما قبل التاسعة مساء أي نوع من البرامج الدرامية، التي تعرض أشكالا من النشاطات غير المرغوب فيها والتي قد يساء تفسيرها من الأطفال مثل الابتزاز، والتهديد، وأشكال العنف المختلفة، وتعاطي الخمور والمخدرات والسجن والجنس وسباق السيارات وغيرها.
أن تكون لغة برامج الأطفال هي اللغة الفصحى مع مراعاة مستويات العمر والمعجم اللغوي الملائم لكل فئة عمرية.
تشجيع أولياء أمور الأسرة على أن يقضوا وقتاً مع أطفالهم بدلا من أن يقضونه معه بالبحلقة في التلفزيون، وليفرغ الوالدان وقتاً، لأطفالهم وليكون شعارهم الوالدان جليس أفضل للطفل من التلفزيون واللعب أفضل من التلفزيون، والقراءة أفضل من اللعب.
السيطرة على استخدام الفيديو والألعاب الإلكترونية والأقراص المدمجة ويمكن اقتراح بعض الأمور التي تسهم في ترشيد استخدام هذه المحطة الداخلية في كل بيت:
أ) إنشاء نوادي للفيديو والأقراص المدمجة في المدارس والنوادي والجمعيات تشرف عليها وزارتا الإعلام والتعليم، بحيث تكون مكتبات علمية وثقافية وفنية تعود الأطفال على مشاهدة المادة المفيدة، وتسهل لهم الاستفادة منها.
ب) توجيه أنظار أولياء الأمور إلى خطورة استخدام الأطفال للفيديو دون رقابة منهم.
ج) توفير مواد علمية وثقافية وفنية في محلات الفيديو بشكل إجباري، على سبيل المثال يمكن أن يفرض على كل محل أن يكون لديه نسبة مئوية من جملة عناوينه عبارة عن برامج مختصة بالأطفال ذات المستوى العلمي والتربوي الهادف.
الإنترنت والطفل
تعتبر شبكة الإنترنت ثورة جديدة في مجال الاتصال والإعلام، فإذا كانت الثورة الأولى في مجال الإعلام بدأت مع ظهور الطباعة، ثم تلتها الصحافة، فالسينما، والإعلام المسموع،ثم الإعلام المرئي، ثم اصبح البث الفضائي عبر الأقمار الصناعية، فشبكة الإنترنت (وهي شبكة معلوماتية) وتعتبرمن أحدث التقنيات في الوقت الحالي. وهي ترتبط بتقنيات الإتصال والمعلومات والكمبيوتر التي تطورت تطورا كبيرا منذ أواخر القرن الماضي، ولا تزال تتطور بسرعة واستمرار.
يعتبر الانترنت الوسيلة الاسرع نموا فى تاريخ البشرية، ففى حين احتاج الراديو إلى 38 عاما للحصول على 50 مليون مستخدم لاستقبال برامجه ′احتاج التلفزيون إلى 13 عاما للوصول الى العدد نفسه، فيما احتاج التلفزيون الكابلى الى 10 اعوام للوصول الى 500 مستخدم، ولايمر شهر او بضعة أشهر إلا ويحدث تطور نوعى فى طريقة عمل هذه الشبكة العنكبوتية جنبا الى جنب مع التطورات الكمية البسيطة المتراكمة المرتبطة بها، وقد كان اخر هذه التطورات هو ظهور الاعلام الالكترونى " الجديد " ليفرض واقعا مختلفا فى مجال الاعلام إذ أنه لا يعد تطورا تطورا فقط لوسائل الاعلام السابقة وإنما يعد وسيلة تضمنت كل ما سبقها من وسائل، هذا بالاضافة إلى ما قام به عالم الانترنت من دمج لأشكال الاعلام التقليدية مما افرز قوالب إعلامية جديدة ومبتكرة،لا سيما وقد كسر الانترنت قاعدة المرسل والمتلقى المطبقة فى وسائل الاعلام التقليدى، لتصبح المعادلة اقرب الى " الكل صانع الخبر والكل متلقى له " تحت شعار " اصنع اعلامك بنفسك ".
ويمكن تعريف الاعلام الالكترونى على انه قوالب إعلامية جديدة ومبتكرة نشأت نتيجة للدمج بين الاشكال التقليدية للإعلام، ويشمل الإعلام الالكترونى: الصحافة الالكترونية،والاذاعة عبر الانترنت، والتلفزيون عبر الانترنت، والمدونات،والمواقع التفاعلية مثل المنتديات وساحات الحوار المكتوبة، وغرف الدردشة، والمجموعات البريدية (مثل الفيس بوك) والمواقع الالكترونية التى تضم عدد كبير من عروض الفيديو صغيرة المدة (مثل: اليوتيوب)، بالاضافة الى الإعلام من خلال الهواتف المحمولة، ولقد ساهم الاعلام الجديد فى فتح المجال أمام أفراد المجتمع للممارسة حرية التعبير وإبداء الرأى بلا اى قيود أو حواجز لتظهر فى النهاية مصطلحات جديدة كالفضاء العام الافتراضى والحكومة الالكترونية والديمقراطية الالكترونية وديمقراطية وسائل الاعلام، وصحافة المواطن journalism citizen .. الخ.
الإنترنت في وقتنا الحاضر عنصر مهم وحيوي من عناصر الإعلام ومصادر المعلومات التي أصبحت في متناول الجميع، والأطفال بطبيعة الحال جزء من هذا المجتمع يتأثر بما هو موجود في بيئته، ومع توافر أجهزة الحاسب الآلي ومراكز الخدمات التي تقدم خدمة الدخول إلى عالم الإنترنت أصبح الإنترنت من الأمور التي يستعملها الكثير من الناس، والأطفال من ضمنهم بطبيعة الحال.

إن الاستفادة من الكم الهائل من المعلومات أعطى الإنترنت أهمية بالغة، وأصبح هدف البحث عن المعلومة والاستكشاف من الأمور التي يسعى لها الجميع بمن فيهم أطفالنا، فهل عالم الإنترنت عالم آمن لمن أبحر به؟ وهل قضاء الساعات الطوال في التجوال مفيد للأطفال؟ وهل هناك آثار نفسية سلبية على مستخدمي الإنترنت؟ وهل استخدام الأسماء المستعارة في مواقع الدردشة يوحي بشيء ما لصاحب ذلك الاسم؟ وكثير من التساؤلات التي تشغل بال الآباء والتربويين وأصحاب القرار في مختلف المواقع الذي يعنيهم هذا الأمر من بعيد أو قريب.

والآن بعد فترة الإبهار بما تقدمه الإنترنت لمستخدميها، بدأ العالم يتلمس مكامن القوة والضعف لمن يستخدم الإنترنت وخصوصًا الأطفال، وأصبحت الدول تسن القوانين الرادعة للحفاظ على مستخدمي الإنترنت من الاستغلال بأي شكل كان.

إن استخدام الإنترنت المتزايد عالميًا ربما بسبب الرضا النفسي الذي يوفره لمستخدميه، ويجعلهم أكثر التصاقًا به والذي يجعلهم يقضون الساعات الطويلة أمام أجهزة الكمبيوتر، وذلك لشعورهم بعدم الحرج الاجتماعي أو الضغط النفسي أثناء استخدامهم الإنترنت وحرية الدخول لغرفة الدردشة للحديث مع أي كان عن أي موضوع يريدون، أو حتى توجيه الأسئلة التي ربما تكون محرجة نوعًا ما وذلك لطبيعة الإنترنت إنها لا تطلب من مستخدميها الكشف عن هويتهم الحقيقية والذي يوفر غطاء لمستخدمي الإنترنت بحيث يجعله يتكلم ويناقش أي قضية مما يعطيه راحة نفسية من مشاركاته بدون أن يؤخذ عمره أو وضعه الاجتماعي أو حتى جنسه ذكرًا أو أنثى بالحسبان، وهذا يريح مستخدم الإنترنت ويعطيه هامشًا من الحرية هو بحاجة لها وهو يعجز عن الحصول على ذلك في الاستخدام العادي بالمواجهة مع الآخرين.

كما أن الإبحار في عالم الإنترنت يريح المستخدم بعدم كشف هويته للآخرين، إلا أنه يسبب مشكلات سلوكية عديدة من أهمها تعلم عادات سلوكية خاطئة بالجلوس أمام أجهزة الكمبيوتر لساعات طويلة مما يقلل من نشاط الفرد ويصـرفه عن الحركة التي يحتاجها عادة في التنقل من مكان إلى آخر، وأيضًا يغلب على مستخدم الإنترنت الفردية والعزلة وعدم الاختلاط مع الآخرين مما يؤثر على طبيعة المشاركة الاجتماعية للفرد.

كما قد يتأثر مستخدم الإنترنت بشكل أو بآخر بطبيعة الرسائل الإعلامية والثقافية والدعائية التي يصادفها أثناء استخدامه للإنترنت، وهذا بطبيعة الحال سوف يؤثر عليه سلبًا أو إيجابًا بحسب تلك الرسائل وخلفية مرسليها، وهنا نجد أن الأطفال أكثر تأثرًا من غيرهم بما يشاهدونه في الإنترنت وربما يتبنى الطفل أمورًا غريبة عن مجتمعه ودينه وهويته ويصعب بعد ذلك التعامل مع الطفل إذا أصبح ذو هوية تختلف عن الهوية التي يراد له تبنيها بحكم طبيعة أهله وذويه ومجتمعه.

إن مستخدمي الإنترنت يلجؤون إلى عدم الكشف عن هويتهم الحقيقية كما ذكرنا سابقًا، وذلك باستعارة أسماء مختلفة يختبئون وراءها، وهذه الأسماء عادة يختارها الفرد لتعكس شيئًا خاصًا يحتفظ به لنفسه، فالبعض ربما يختبئ وراء أسماء تناقض طبيعته، فإذا كان جبانًا مثلاً يختار اسمًا يمثل الشجاعة، أو إذا كان ذكرًا ربما يختار اسمًا أنثويًا، أو ربما يختار اسمًا يؤكد على طبيعته أو صفة مميزة فيه؛ فإذا كان كريمًا ربما يختار اسمًا يدل على الزيادة في الكرم، أو إذا كان عاشقًا ربما يختار اسمًا يدل على شدة عشقه؛ وهكذا فالأسماء المستعارة تعطي مستخدم الإنترنت فرصة مجانية لإخفاء حقيقته والتمتع بحرية في تعامله بدون أي قيود أيًا كانت ربما تعيق استخدامه للإنترنت.

الإنترنت بما تقدم ربما أصبح الآن شيئًا أساسيًا لدى البعض وثانويًا لدى البعض الآخر، لكن ما هو واضح بطبيعة الحال أن عالم الإنترنت أصبح له مكان في مجتمعنا الحالي شئنا أم أبينا، فإذا كان الحال كذلك فكيف نتعامل مع أطفالنا إذا أرادوا استخدام الإنترنت؟

أطفالنا واستعمال الإنترنت

إن الأطفال يجدون في الإنترنت متعة وتشويقًا من خلال التراسل عن طريق البـريد الإلكتروني، والتخاطب مع الآخرين باستخدام غرف التخاطب، وأيضًا يحب الأطفال الاستكشاف والبحث الذي يوفره الإنترنت بكل حرية وسهولة.

لكن هل استخدام الأطفال للإنترنت آمن؟ إن الإحصائيات تدلنا على أن هناك من 400 ألف إلى 2 مليون طفل يتم استغلالهم إباحيًا من خلال الإنترنت.

وأن هناك أكثر من 100 ألف موقع إباحي يدخله الأطفال، وأن هناك أكثر من 3900 موقع إباحي جديد يوميًا.

وأن الأطفال يصبحون من كثرة استعمالهم للإنترنت مدمنين على ذلك، وهذا يؤدي إلى تأخرهم دراسيًا لكثرة الوقت الذي يقضونه أمام الحاسب الآلي.

الإنترنت والتعامل مع الأبناء

لقد أصبح الإنترنت عنصـرا مهمًا علينا الاستفادة منه قدر الإمكان، وأن نعمل على توجيه أبنائنا للاستخدام الأمثل له لكي ينهلوا من الكم الهائل مما يوفره من معلومات وخبـرات ووسائل اتصال سـريعة، لكن مع الحرص على أن لا يكونوا وحدهم دون المشورة والمتابعة والتوجيه الأسـري والمدرسي والمجتمعي.

ثقافة الأمة هو تراثها الحضاري والفكري بحيث تشكل ثقافة الأمة عناصـر مترابطة تحكم الأفراد والأسـر والمجتمع.

لقد عاشت مجتمعاتنا في السابق محافظة على ثقافتها وهويتها وذلك لصعوبة التنقل والسفر بين الدول، وكذا عدم توفر وسائل الاتصال وكذا الإعلام، وفي الآونة الأخيرة وبعد الانفتاح الإعلامي الهائل ظهر التغير في الهوية والثقافة على المجتمع، وخصوصا فئة الشباب من الجنسين.

ويشير إنه على الرغم من الجهود التي تبذلها الدول لحماية هذه الفئة الشبابية إلا أن المتغيرات الثقافية السـريعة النابعة من الثقافات، والجنسيات، واللغات، والديانات المتعددة، ووسائل الإعلام المتقدمة، غيرت من شخصية الشباب وتوازنهم، وولدت الكثير من التناقضات التي يعيشون معها بصورة يومية، وقضت فيها على تأثير العوامل المكونة للشخصية وهي التنشئة الاجتماعية الوالدية، لتحل محلها التنشئة النابعة من البدائل، ما أنتج الصـراع القيمي بين الشباب والسلوكيات والتصـرفات النابعة من الثقافات الأخرى المتداخلة مع ثقافة المجتمع، والوضع الثقافي الذي يعيشه النظام العالمي، فالطابع التقليدي للثقافة بدأ ينهار أمام التقدم والتطور والتحديث.

وبطبيعة الحال منع الأطفال من استخدام الإنترنت لا يحل شيئًا ويعد أمرًا صعبًا هذه الأيام؛ لأن الطفل أو الشاب يستطيع استخدام الإنترنت خارج المنزل مع أصدقائه أو في المقاهي المنتشرة أو في مدرسته إذا توفر له ذلك.

إذًا هل نسمح لأبنائنا باستخدام الإنترنت في عقر دارنا، أم نجعلهم يختلسون الفرص لاستخدامها بعيدًا عن أعيننا.

الإجابة على ذلك في ظني أن يستخدم أطفالي الإنترنت أمام عيني أفضل من أن يستخدموا الإنترنت خارج المنزل.

لكن الاستخدام المنزلي له ضوابط عدة، أولها أن أجعل جهاز الحاسب الآلي في مكان واضح في المنزل لكي يسهل معرفة من يستخدمه، وأن يتم تزويد جهاز الحاسب الآلي بفلاتر خاصة تمنع المواقع السيئة وغير المرغوب فيها من الظهور، كما أن الأب لابد أن يكون هو أو أي شخص عاقل في الأسـرة ملمًا باستخدام الإنترنت حتى يراقب بين الفينة والأخرى الأماكن التي يرتادها أطفاله ويعرف عن كثب طبيعة استخدامهم للإنترنت، أيضًا لابد من فتح حوار متعدد مع أبنائه عن أضـرار الإنترنت، وأن ينبه عليهم بعدم إعطاء أي بيانات شخصية عن طريق الإنترنت لأشخاص لا يعرفهم، وكذلك عدم مصادقة من لا يعرف، وعدم محاولة لقاء أشخاص تعرف عليهم عن طريق الإنترنت بدون علم أهله.

والأهم من هذا الأمر العمل على تثقيف الأطفال بحسن التعامل مع الإنترنت وطبيعة المخاطر التي ربما تواجههم أثناء استخدامهم للإنترنت، وجعل الرادع والرقيب ذاتيًا لدى أطفالنا من خلال إشعارهم بمخافة الله عز وجل، وأنه مطلع على ما يعملونه، وأنه كولي لأمرهم مهتم بمعرفة كل كبيرة وصغيرة أثناء استخدامهم للإنترنت.

إدمان الأطفال للإنترنت

يقود ادمان الانترنت لدى الاطفال إلى اضطراب وتغير عادات النوم لديهم، بالاضافة الى المشكلات الدراسية، وتدني المستوى التحصيلي. كما أن الاستغراق في الإنترنت يؤدي إلى توقف الأطفال عن ممارسة الهوايات، والأنشطة الأخرى المحببة لديهم، في حين يمتنع أطفال آخرون عن التنزه، ومقابلة الأصدقا، والانضمام إلى الحلقة الأسـرية، كما يصاب بعض الأطفال بنوبات غضب وعنف عند محاولة وضع حدود وضوابط لاستخدام الشبكة من قبل الوالدين، أو يتحايل بعضهم للدخول إلى الشبكة من دون علم الوالدين أو تحدياً لهم.

طرق ووسائل الوقاية من أضـرار الإنترنت

وفي هذا العصـر الذي أنفتح فيه الفضاء بكل معلومة وثقافة موجودة في أي طرف من هذه الأرض، يجعلنا في رهان قوي في طرق ووسائل التخلص من الضار وتفعيل النافع، وإعداد جيل قادر على ذلك.

ويذكر(يحي، 2007م،7) قائلا ماذا ينبغي للتربية أن تفعل تجاه تيارات العولمة التى تبثها قنوات الإعلام المختلفة؟ وأشار إلى أن الإجابة مختصـرة وبسيطة، لكنها تحتاج إلى عمل جاد ودؤوب، لان معاول الهدم اكثر من سواعد البناء. فالإجابة هي أن تمارس المؤسسات التربوية (بيت، مدرسة، مسجد، ناد) وبفعالية غرس القيم والسلوك الحميد، لأنه لا يوجد لدينا - بعد الله - إلا هذا السلاح، حتى ننجو في الدنيا والآخرة. وقد يقول البعض أن هذه المؤسسات تمارس التربية، نقول إنها تمارسها دون توازن، فبدلا من أن يعطى التعليم وقتا والتربية وقتا آخر، تلتهم الأهداف التعليمية والأكاديمية كل الوقت أو اغلبه. ولذا ينبغي أن نعود طلابنا على النقد والتحليل بدلاً من الحفظ والاستذكار فقط، حتى نجنبهم القبول التلقائي لكل ما يراه وما يسمعه.كما ينبغي على المؤسسات التربوية والإعلامية أن تعطى مساحة مهمة لتعليم الأجيال حب الوطن والانتماء إليه، وتوعيتهم بسلبيات العولمة وآثارها وطرق الوقاية منها، وكيفية التعامل معها.كما ينبغي أيضا التعامل الرادع السـريع مع جرائم الشهوات واللذات الخادعة، كتعاطي المخدرات والانحرافات السلوكية الأخرى.

المحور الأول: دور الآباء والأسـرة

إن الدور المناط بالأسـرة والآباء والأمهات دور كبير وذو أثر، خاصة في بداية النشأة ومتابعة ذلك حتى تنتهي فترة المراهقة، وفي دراسة أعدها مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام أجريت عام 2004م إلى أن العينة التي أجريت عليهم الدراسة يرون أن دور الأسـرة للحد من التأثيرات السلبية للإنترنت أشار 93% إلى أن ذلك الدور

إما "مفيد جداً" أو "مفيد" وينطبق الأمر على دور التوعية العامة مع ملاحظة أن حوالي 50% أشاروا إلى أن إيجاد بدائل للإنترنت أمر "مفيد جداً.
ويمكن إجمال هذا الدور بالنقاط التالية:
(1) الاهتمام بالشاب ومحاولة توفير الجو المناسب له للحيلولة دون الإفراط في استخدام الإنترنت.
(2) الاهتمام بصحة الشاب النفسية وحاجاته في محاولة للحيلولة دون وقوع المشكلات النفسية الخطيرة.
(3) توجيه انتباه الشاب إلى أهمية الإنترنت ومزاياه وفوائده، وكذلك توضيح الأضـرار التي توجد فيه، ولقد أثبتت دراسة (المغذوي، 1427هـ ص 15) إلى أن 66% من عينة الدراسة لا يتلقون التوجيه المناسب في الاستخدام الأمثل للإنترنت.
(4) ضـرورة الاهتمام بمستوى الأبناء العلمي والثقافي لمسايرة متطلبات المرحلة.
(5) العمل مع المؤسسات التربوية على توفير الجو الآمن والمناسب للشاب وتغذية احتياجاته.
(6) السعي لكون الأجهزة الحاسوبية التي تعمل على الإنترنت في الأماكن العامة في البيت.
(7) البعد عن الإفراط في تحقيق جميع متطلبات الأبناء، وكذا الإفراط في المنع.
المحور الثاني: دور المؤسسات التربوية
كما أشرنا سابقا إلى المجهود الجيد لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في حجبها للمواقع غير المناسبة، وهنا نذكر بعض الطرق والوسائل لدور المؤسسات التربوية للوقاية من أضـرار الإنترنت على شبابنا:
(1) الاهتمام بتبصير الطلاب بخطورة مرحلة المراهقة التي يمرون بها، وكيفية التعامل مع المشكلات التي يواجهونها.
(2) تعليم الطلاب الكيفية المثلى لاستخدام الإنترنت بالطرق الآمنة والاستفادة من مزاياها وتجنب أخطارها.
(3) تقديم بـرامج تعليمية وأنشطة تثقيفية للطلاب تركز على الجوانب الايجابية للإنترنت وكيفية تفعيلها.
(4) العناية بالجوانب النفسية للطلاب وخصوصا من يدمن على تصفح الإنترنت، وتقديم العلاج المناسب لهم.
(5) وضع مناهج لا تقتصـر على كيفية التعامل مع جهاز الحاسب وذكر خدماته، لتتجاوز ذلك إلى كيفية الاستفادة من الإنترنت، وجعله وسيلة تعليمية عن طريق التعلم بالاستقصاء.
(6) أن يكون من يقوم بالتدريس سوء في التعليم العام أو العالي على علم ودراية بتقنية المعلومات، وأن يكون قادرا على إيجاد بدائل مناسبة للطلاب من المواقع التي تحقق ميول الطالب وهي في نفس الوقت متزنة.
(7) إقامة النشاطات الطلابية غير الصفية مع الجهات ذات العلاقة بتقنية المعلومات لكيفية الاستخدام الأمثل لها، مع طرح ورش العمل واللقاءات حول ذلك.
السينما
هناك شبه انعدام لسينما الأطفال (خلاف واقع سينما الكبار)، مع إنتاج محدود على شكل كرتون يقدم على شكل حلقات تلفزيونية، إضافة الى انعدام المسارح الخاصة بسينما الطفل.لقد وصل مهرجان القاهرة الدولى السينمائى الى دورته الخامسة والثلاثين هذا العام ومع ذلك لازال العام العربى يعانى فراغا كبيرا فى مجال سينما الطفل.
والحديث هنا ليس عن الافلام الكارتونية كما يعتقد البعض وانما القص هو السينما الروائية الخاصة بالطفل الذى يقصف كل يوميا بالاف الصور التلفزية والاشهارية والاخبارية والكارتونية وغيرها والتى اصبحت تشكل وعية الباطن وتغذى شخصيتة المتسمه فى عصـرنا الراهن بالعنف، عنف فى التصـرف وفى الحركة وفى اللفظ، إضافة الى غياب الاخلاق احيانا، وهذا بسبب ما يشاهده الطفل يوميا على شاشة التلفزة، سواء فيما يتعلق بالرسوم المتحركة المرتكزة على العنف الجسدى أو الافلام والمسلسلات خاصة المدبلجة إلى الدارجة التى نسمع فيها الكلام الساقط ' وحتى بعض البـرامج الفكاهية، والاغانى اضافة الى التهكم على القيم الوطنية ولغة الوطن؟ ولذلك فما يقدم اليوم على التلفزة يعتبـر جرما فى حق الطفل.
سينما المستقبل
يمكن القول انه يجب ان يؤسس لسينما متميزه تخص الطفل وعالم الطفولة بـرمته، من هنا تصبح الحاجة ماسة الى التفكير جديا فى هذا النوع من السينما التى تعتبـر سينما المستقبل بإعتبار ان الطفل هو مستقبل اى مجتمع انسانى فإذا تم الاهتمام بمحيطة الاجتماعى والعائلى وهذا يندرج ايضا غى التربية على المواطنة من خلال السينما، ذلك ان السينما تعتبـر اداه تعليمية وتعلمية تربوية هادفة ومؤثرة بكل المقاييس ' يتعلم من خلالها الطفل مبادىء الحياة والتعبير واخذ القرار والاحساس بالذات.. على ان سينما الاطفال التى ننشدها يجب ان تتميز بكتابة سيناريستية جيدة تعتمد على الحبكة الحكائية المشوقة (لولع الطفل بالحكاية والقصة) وفقا للمعايير التى وصفها المختصون والمربون والادباء كذلك وعلى الصورة السينمائية الجاذبة (فنيا) والمضمون الهادف المستوحى من الواقع المعاش ووفقا لقيم المجتمع الذى يعيش فيه الطفل دون السقوط فى اسلوب التلقين المباشر والوعظ والارشاد من خلال الحوار المباشر كما سارت عليه بعض الاعمال والبـرامج التلفزيونية وعلى ذكر القيم فإن الطفل يحتاج اليوم الى سينما تبصـره بطريقة سلسلة بهويته ومنطلقات محيطة الاجتماعى الفكرية والثقافية وغيرها فى وقت صارت فيه العولمه غولا يبتلع كل ثقافات الشعوب الاخرى ويلقيها فى العبث المطبق والمسخ الحضارى الذى اصبح عنوان عدة مجتمعات عربية اسلامية والمتأثر الاول بهذه الوضعية هو الطفل الذى يكبـر بعيد عن كل توازن فكرى ونفسى.
المسـرح
لقد عرف مسـرح الكبار منذ عهد اليونان، وكان موجهاً بالدرجة الأولى، الى الملوك والحكام والنبلاء.أما مسـرح الاطفال«مسـرح الصغار» فلم يبدأ بشكل فعلي، الا مع بداية القرن العشرين، حيث أسس أول مسـرح للأطفال في موسكو(عام 1918) بإشراف بعض المعنيين بشؤون تربية الطفل، الى جانب الملمين بأمور المسـرح الأدبية والفنية.
ولكن مسـرح الاطفال لم يتطور بشكل كبير-كتابة وتمثيلاً- الا بعد الحرب العالمية الثانية، وفي معظم البلدان المتقدمة، حتى أصبح جزءاً من الحركة الأدبية/المسـرحية في العالم.
يعتبـر المسـرح أداة تربوية ممتازة بالنسبة للطفل، وهو عملية تثقيفية وتعليمية وتهذيبية متكاملة البنيان، متعددة الأبعاد. وغير خاف ما تعطيه الدول المتقدمة للمسـرح المدرسي من أهمية كبيرة، فلا يمكن أن يمر طفل في مؤسسة تعليمية دون أن يشارك في عملية مسـرحية كل سنة من سنوات دراسته.
تتجلى أهمية الوظائف التي يحققها مسـرح الاطفال والتي يمكن إجمالها بما يلي:
1-ينمي قدرة الطفل على التعبير عن آرائه وانفعالاته.ويتيح له الفرصة لتعرف مواقف حياتية مختلفة والتكيف معها.كما يعرّف الطفل على الآخرين من خلال تقمّصه لشخصياتهم واكسابه القدرة على التعامل الايجابي معه.
2- يزود الطفل بالكثير من المعارف والخبـرات والاتجاهات من خلال المحاكاة والتقليد، باعتبار المسـرح نشاطاً أخلاقياً يثير انفعالات الطفل ببعض الاشكاليات التي تبعث شعور السعادة عندالأطفال.
؛- يسهم في النمو الحسي-الحركي عند الطفل، من خلال اللعب الدرامي والتعبير الحركي والرقص الايقاعي.وهذا ما يساعد الطفل في معرفة قدراته ومواهبه، وبالتالي في تنمية شخصيته.كما يزوده بكثير من القيم الأخلاقية، كالتعاون والنظام والانضباط، والصدق وضبط النفس، والاحترام والمشاركة الوجدانية.
4- وثمة وظائف اخرى يحققها مسـرح الأطفال كنتيجة للوظائف السابقة، كإغناء الحصيلة اللغوية، ومعالجة بعض مشكلات النطق والقراءة، وتقديم إجابات وتفسيرات للكثير من تساؤلات الأطفال.وتنمية الذوق الجمالي وحبّ الموسيقا، والحس النقدي تجاه الأعمال التي تعرض عليه أو يقوم بإنجازها، اضافة الى ما يدخله ذلك في نفوس الأطفال من متعة وسـرور.
إن لمسـرح الأطفال أهمية كبـرى، اذ يدربهم على الحياة بصورة ايجابية، من خلال النظام والانضباط، والثقة بالنفس في مواجهة الجمهور، ويكسبهم الكثير من المعارف والخبـرات والمواقف الحياتية أي أنه يسهم بصورة مباشرة في تكوين سلوكات الأطفال، ويوجهها نحو الأفضل.وتبقى الكتابة المسـرحية للأطفال فناً مستقلاً بذاته، متكاملاً بعناصـره التي تستمد خصوصيتها من ميزات عالم الطفولة وخصائصها (النفسية والاجتماعية) والتي تحتم مراعاتها في أي عمل أدبي/تربوي يوجه الى الأطفال، وفي أية مرحلة عمرية، ويبقى مسـرح الأطفال هو العمل الفني، الغني بالخيال الخصب والعاطفة المتأججة حيث تكمن أهميته في قدرته على تأدية دوره التثقيفي/ التربوي البنّاء.
أما في وطننا العربي فقد تأخر ظهور مسـرح الاطفال كما هي الحال في أدب الاطفال بوجه عام، وذلك لصعوبة اختيار موضوعاته وقلة المجيدين فيه من جهة، وعدم الاهتمام الكافي بثقافة الطفل عامة وآدابه من جهة أخرى، ولذلك ظلت نسبة المسـرحيات المكتوبة للأطفال حتى الآن، تتراوح ما بين (1-2٪) مما يكتب وينشر من أدب الاطفال، علىمستوى الوطن العربي، وان اختلفت هذه النسبة من بلد عربي الى بلد آخر.
إن واقع المسـرح الان يتمثل في:
عدم وجود مسارح خاصة بالأطفال في الأحياء وأحياناً كثيرة حتى في المدارس
عدم الاهتمام بفن التمثيل ودوره في تطوير قدرات الطفل المختلفة
تخلف صناعة الدمى وهي مكملة للمسـرح

هناك جهود محدودة لتكوين فرق مسـرحية متنقلة تقدم للأطفال لكن يقدمها الكبار
تقييم المواد الإعلامية المقدمة للاطفال:
قلة المواد الإعلامية المقدمة وبما لا يناسب مع عدد الأطفال في مصـر والعالم العربى
انخفاض المستوى الفني للمواد الإعلامية بسبب التكاليف العالية أو قلة الخبـرات
غياب الأهداف عن الكثير مما يقدم للأطفال والاكتفاء فقط بـ"ماذا يعجبهم؟
غلبة المواد المترجمة وخصوصاً في أفلام الكرتون (المدبلجة)
اللغة العربية المقدمة من خلالها المواد المرئية ركيكة أو صعبة بالنسبة للطفل
غلبة المواد الترفيهية وقلة المواد الجادة
غياب البـرامج التي تعنى بإذكاء عقلية الطفل وتطوير مهاراته العلمية والفنية واليدوية وتحسين ملكة الإبداع والتفكير لديه
إشغال وقت الطفل قد يكون أفضل تسمية لمواد وبـرامج التلفاز العربية
غلبة السطحية والإثارة المتكلفة في مواد الأطفال
التأثر بعقلية الغرب فيما يقدم من إنتاج محلي سواء في الأسلوب أو في حتى المحتوى
توجيه الطفل لاهتمامات ليست ضمن أولوياته
ندرة المواد المقدمة للاطفال ذوى الاحتياجات الخاصة والتى تمثل شريحة كبيرة جدا فى مصـر والوطن العربى

الفصل الرابع

الإنتماء والطفل والإعلام

يتجه العالم الى الديمقراطيه وخاصة هذه الايام فى ظل الربيع العربى، وهذا يفترض على الدول الاهتمام بالتربية السياسية ويعتبرموضوع الانتماء من ابرز الموضوعات في مجال التربية السياسية. لم يعد الصراع بين الدول صراعاً عسكرياً مسلحاً بقدر ما اصبح صراعاً حضارياً وثقافياً وسياسياً، ويأتي الاستقطاب الثقافى والفكري والسياسي في مقدمة ذلك الصراع، ومن ثم اهتمت الدول بالعمل على تحصين اطفالها وشبابها وتأهيلهم سياسياً ضد محاولات الغزو والاستقطاب الخارجي، وكذا تأكيداً للهويه الوطنية وتعميقاً للانتماء والولاء.

احدثت التغيرات السريعة وغير المسبوقة في المجتمعات المعاصرة بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، في تلك المجتمعات خاصة وان التغييرات التي حدثت وما تزال تحدث لم تكن متوازنة ومتدرجة من ناحيه ولم يكن بعضها مخططاً تخطيطاً دقيقاً من ناحية أخرى، وكان لذلك كله أثاره السلبيه على الاطفال والشباب بصفة خاصة، تمثلت في زعزعة الانتماء للوطن واضعافه لدى بعض الاطفال من شرائح المجتمع المختلفة.

تبرز اليوم أهمية الانتماء والمواطنة، من أجل الحفاظ على الهوية الخاصة بكل مجتمع في ظل ما يتهددها من أخطار، وهذا لا يعني أن الحل يكمن في الانكفاء على الذات، والابتعاد عن العالم الذي أصبح قرية صغيرة، إنما يعني إكساب المناعة لكل فرد من خلال تربيته تربية وطنية تركز على تزويده بالمعارف، والقيم، والمبادئ والمهارات التي يستطيع بها التفاعل مع العالم المعاصر دون أن يؤثر ذلك على شخصيته الوطنية.

وتعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل لغرس المفاهيم والمعارف والقيم، وخاصة المتعلقة بالوطن، وذلك لأن ترسيخها في مرحلة الطفولة، وتنشئة الطفل عليها يجعلها عنصراً مكوناً في بناء شخصيته والطفل منذ مراحل نموه الأولى يجب أن يتعلم أنه يعيش في مجتمع، وأنه عنصر فيه، ويجب أن يكون صالحاً وقادراً على تحمل المسؤولية والمشاركة في نموه وتقدمه ورقيه بالجد والعمل والكفاح ويجب أن ينشأ منذ مراحل عمره على الولاء والانتماء وحب الوطن.

ان الطفل بطبيعته باحث عن هوية اجتماعيه وطنيةٍ وعن انتماء يبدأ بالاسرة ثم الحى والمدينه ثم المنطقة ثم البلد ثم الوطن ثم الاقليم وصولاً الى الامة.وهو يحاول تعريف نفسه على كل من هذه الاصعده فكما انه يحمل اسماً وينتمى الى أسرة كذلك هو بحاجة الى إنتماء الى جماعة ومجتمع والى وطن ولابد من جهود واضحه لتعزيز هذه الهوية من خلال بناء شبكة الانتماءات هذه.وهو بناء يتشكل بواسطه الثقافه ورموزها والايام والمناسبات والشعائر والأعياد والتربيه الوطنية والتربية الدينية والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسه.كما انه يتكون بواسطة نمذجة الشخصية الوطنية من خلال الأبطال والقادة والرواد مستودع الاعتزاز الوطني.

من خلال هذه الشبكة المكونة لهيكل الشخصية الوطنيه والهويه الوطنيه والاعتزاز بالانتماء تبزغ روح التضحية والوفاء عن الحمى والعطاء فالهويه الوطنية تستحق ولا تمنح هبة والإنتماء له ثمن لابد ان يدفع.ومن خلال هذا التعزيز يتم الانفتاح على الكون.ويصبح الانفتاح فرصه اسهام في بناء الحضارة الجديدة التي تشكل طموحاً واعياً أو كافياً لدى المجتمعات البشرية واحتلال مكانة فاعله في صناعة التاريخ.

وهناك العديد من المؤسسات التي تعمل على تشكيل وتنمية الوطنية والمواطنة عند الفرد كالأسرة، والمدرسة ودور العبادة ووسائل الإعلام، إلا أن الاعلام يعد أهم واخطر الوسائل في إعداد الأطفال خاصة هذه الايام

فلم يعد الإعلام ترفًا، بل أصبح ضرورةً، لا يمكن للناس أن تستغني عنه، وهو وإن اصطلح على أنه "السلطة الرابعة" لكنه في الحقيقة صاحب التأثير الأول. للإعلام دورًا محوريًّا ومهمًّا في صياغة الرسائل الكلية للأمة وتبنِّي قضاياها وحماية ثقافتها، وصيانة مقومات هويَّتها، فضلاً عن توعية الإنسان بالمتغيرات المعاصرة، وتبصيره بالتحديات المحيطة به فوسائل الإعلام يفترض أن تمثِّل المجتمع تمثيلاً حقيقيًّا، فتكون مرآةً تعكس صورة المجتمع وقيمه وآراءه وأفكاره وعاداته وتقاليده، وكذلك هموم المواطن وطموحه وآلامه وآماله، وهذا يعدُّ صمام الأمان للإعلام، وبالتالي يصبح بحق لسان حال المجتمع.

لقد اصبح الإعلام اليوم المحرك الرئيسي لكل الاتجاهات والميول والأفكار لدى الشارع العربي، فهو المحرك نحو تغييرها وتعديلها. وفي حين كان المتوقع والمنتظر من الإعلام أن يكون أهم وسيلة لتعزيز الهوية العربية؛ إلا أنه أصبح نافذة لانتماء المواطن العربي إلى هويات شعوب أخرى لا تتفق بل وتختلف مع التوجهات العربية.ويأتي الطفل الضحية الأولى لتلك الوسائل،حيث يقضى الطفل ساعات طوال أمام وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، ويتشرب الكثير من الثقافات المختلفة التي تشكك في قيمه العربية، وتساهم في ضعف الانتماء لديه.

ولعل دخول الجانب التجاري والكسب المادي السريع هو ما جعل وسائل الإعلام تحرص على عرض ما يحقق المكسب المادي، دون الاعتبار إلى أي مبادئ وقيم تمس الاوطان على اعتبار أنها هوية ثقافية موحدة. ومع ما تقوم به بعض وسائل الإعلام العربية، وخصوصاً الحكومية منها من جهود في سبيل تعزيز الهوية العربية للطفل العربي؛ إلا أن تلك الجهود لا تمثل النسبة الكافية في حماية النشء من تلك الثقافات الدخيلة فهي ضعيفة بإمكاناتها المادية والفكرية، أمام طوفان الإعلام العالمي الذي دخل البيت العربي بعدة وسائل قوية.

قراءة موجزة في مفاهيم الهوية والانتماء

يتداخل مفهوما الهوية والانتماء في تقاطعات عدة تطرح منذ زمن بعيد على بساط البحث العلمي، اذ غالباً ما يستخدم احدهما في مكان الاخر في الادبيات الاجتماعيه المعاصرة، فاشكالية الهوية والانتماء تطرح بين القضايا الساخنة في المجتمع العربى المعاصر، وفي هذا البحث سوف نستعرض بعض المفاهيم المتداخلة فيما يتعلق بالانتماء والمواطنة:

مفهوم الانتماء

يعد الانتماء مفهوما فلسفياً دينامياً ُ، لا يمكن إدراكه الا في ضوء مرحلة تاريخيه بعينها، وفى اطار اجتماعى بذاته، فهو نتاج للعديد من المعطيات والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية فى المجتمع، كما انه مفهوم نفسى ذو بعد اجتماعى، وبافتقاده يشعر المرء بالعزله والغربة، ويعتريه القلق والضيق وتنتابه المشكلات النفسية والاجتماعية التى لها تأثيرها على وحدة المجتمع وتماسكه.

وتتعدد الاستخدامات المرادفه لكلمه "الانتماء"،وتستخدم احياناً بمعنى الهوية، واحياناً أخرى مرادفه لكلمة الولاء، واحياناً ثالثه الانتساب، واحيانا رابعه تستخدم بمعنى التوحد والاندماج.وغيرها.

وتأتي هذه الاختلافات تبعا لما أوردته قواميس اللغه بمختلف اللغات، ويرجع مختار الصحاح الانتماء إلى اصل الفعل (نمى) ويقال نما الحديث إلى فلان اى اسنده له ورفعه، ونمى الرجل إلى أبيه اي نسبه، وقد اتفق معه في المعنى نفسه معجم لسان العرب الذي يرده "إلى الفعل نمى"، والنماء بمعنى الزياده، وانمتيه اي عزوته ونسبته، وانتمى هو اليه، انتسب، وفى الحديث انتمى إلى غير مواليه، اى انتسب اليهم ومال وصار معروفاً لهم، ويقال نماه إلى جده، ارتفع اليه في النسب، اي رفع اليه نسبه.

ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيه الإنتماء بأنه ارتباط الفرد بجماعه ويسعى إلى ان تكون عادة جماعه قوية، يتقمص شخصيتها ويوجد نفسه بها كالاسره،النادى،الشركه.. الخ وقد اتفقت معه في المعنى نفسه موسوعة علم النفس، التي اتخذت من "التوحد " دلاله على تمثل الفرد جماعته وانتمائه لها، على ان يتوفر له الاحساس بالامان والرضا والفخر والاعتزاز بها.

وعلى الرغم من اختلاف الاراء حول الانتماء ما بين كونه اتجاهاً أو شعوراً واحساساً أو كونه حاجه اساسيه نفسية، أو كونه دافعاً وميلاً، الا انها جميعاً تؤكد استحالة حياة الفرد بلا انتماء، ذلك الانتماء الذي يبدأ صغيرا بهدف اشباع حاجه الانسان الضروريه منذ ميلاده، وينمو هذا الانتماء بنمو ونضج الفرد، الى ان يصبح انتماء للمجتمع الكبير الذي عليه ان يشبع حاجات افراده.ولا يمكن ان يحقق للانسان الشعور بالامن والحب والصداقة الا من خلال الجماعة، فالسلوك الانساني لا يكتسب معناه الا في موقف اجتماعي، وتقدم الجماعة للفرد مواقف عديده يستطيع ان يظهر فيها مهاراته وقدراته ويتوقف شعور الفرد بالرضا الذى يستمده من انتمائه للجماعه من الفرص المتاحه له كي يلعب دوره بوصفه عضوا من اعضائها، كما أن توحد الفرد بالجماعة يحقق له المكانة والأمن والقوة وقد يكون لهذه الاشياء قيمة أكبر،اذا ما فشل الفرد الوصول اليها بمفرده.

والإنتماء مفهوم نفسى،اجتماعي، فلسفي، وهو نتاج العملية الجدلية التبادليه بين الفرد والمجتمع أو الجماعه التي يفضلها المنتمي،والانتماء يدعم الهوية باعتبارها الادراك الداخلي الذاتي للفرد،محددة بعوامل خارجيه يدعمها المجتمع، والانتماء هو الشعور بهذه العوامل،ويترجم من خلال افعال وسلوك تتسم بالولاء لجماعة الانتماء أو المجتمع.

وللانتماء ابعاداً عديده، يمكننا هنا التركيز على اهمها لتوافقها مع هدف الدراسة وهي:

الهويه

يسعى الانتماء إلى توطيد الهويه، وهى فى المقابل دليل على وجوده،ومن ثم تبرز سلوكيات الافراد كمؤشرات للتعبير عن الهويه وبالتالى الانتماء

الجماعيه

ان الروابط الانتمائيه تؤكد على الميل نحو الجماعة،ويعبر عنها بتوحد الافراد مع الهدف العام للجماعه التى ينتمون اليها، وتؤكد الجماعيه على كل من التكافل والتماسك، وتعزز الجماعيه كل من الميل إلى المحبه والتفاعل الاجتماعى، وجميعها تسهم فى تقويه

الانتماء الولاء

يعد الولاء جوهر الالتزام، ويدعم الهوية الذاتية، ويقوي الجماعية، ويدعو إلى تأييد الفرد لجماعته ويشير إلى مدى الانتماء اليها.

الالتزام
يعنى الالتزام التمسك بالنظم والمعايير الاجتماعية، وهنا تؤكد الجماعه على الانسجام والتناغم والاجماع، ولذا فانها تولد اتجاهاً نحو الالتزام بمعايير الجماعة تجنباً للنزاع التواد
ويعنى الحاجه إلى الانضمام أو العشرة، وهو من أهم الدوافع الانسانية الاساسية لتكوين العلاقات والروابط والصداقات.
الديمقراطيه
هى أحد اساليب التفكير والسلوك التي تعزز التقدير لقدرات الفرد وامكاناته مع مراعاه الفروق الضرروريه، وتكافؤ الفرص، والحريه الشخصية، وكذلك شعور الفرد بالحاجه إلى التفاهم مع الاخرين، والقدرة عن التعبير سواء بالنقد أو المشاركة الفعالة. وغيرها من الجوانب التى تمنع الديكتاتورية، وتعزز قيم الديمقراطيه بالتالى انتماء الفرد للجماعة.
وهناك تصنيفات مختلفة لجماعات الانتماء، بحيث يمكن تصنيفها وفقاً للشكل، كما يمكن تصنيفها وفقاُ لفترة دوامها، أو وفقاُ لقوة العلاقات المتبادلة بين افرادها، أو وفقاُ لطبيعة اتجاه تلك العلاقات ايجاباً أو سالبا.
مفهوم الهوية
على الرغم من ان مصطلح الهويه ذو تاريخ طويل، اذ انه مشتق من الجذر اللاتينى التوحد والاستمرارية، الا انه لم يصبح متداولاً الا خلال Idem القرن العشرين فقط ويرى كثيرون من المفكرين صعوبه فى تعريف الهويه، وليس غريباً ان يعلن فريجه بأن المفهوم لا يقبل التعريف، وذلك لأن كل تعريف هو هوية بحد ذاته، فالهويه مفهوم انطولوجي وجودي يمتلك خاصيه سحريه تؤهله للظهور فى مختلف المقولات المعرفيه، وهو يتمتع بدرجة عاليه من العموميه والتجريد تفوق مختلف المفاهيم الاخرى المتجانسه والمقابله له، ومع ذلك كله وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية ويحيط به، يمتلك هذا المفهوم طاقه كشفيه لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر.
ويتفق مصطفى حجازي مع اشكاليه الهوية، حيث يرى بأنها ليست معطى نهائى مكتمل الصورة، ولا هو مفهوم محدد، بل ان الهوية تنطوي على عناصر متفاعله واحياناً متناقضه، وهى كثيرة التشابك والتعقيد، ومع ذلك فانها وجه يمكن التعرف عليه من قسماته الاولى.
واسم الهوية فى اللغه ليس عربياً فى اصله وانما اضطر اليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، والذي يعني عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع فى جوهره، وهو حرف "هو" ولفظ الهوية مشتق من اصل لاتيني (Idem) يقابل مصطلح الهويه كلمه Identity فى الانجليزيه، وهو يعنى الشئ نفسه sameness، او الشيء الذي هو عليه وأستعملت الهوية في اللغه العربية من مصدر مركب من "هو" ضمير الغائب المعرف بأداة التعريف "ال-" ومن اللاحقة المتمثلة في الـ "ي" المشدَّدة وعلامة التأنيث اي "ـة".
ويلاحظ ان فلاسفتنا العرب القدامى (الفارابي،الكندي، ابن رشد، ابن سينا) قد استعملوا لفظ هوية، المنحوتة من الضمير (هو) بوصفه مقابلاً للفظة "أستين" في اليوناني للدلالة على وجوه المعنى الذي أقره أرسطو لمفهوم الوجود. ويشير مجدي عبد الحافظ إلى أن مفهوم الهوية مفهوم غربي لم تعرفه لغتنا العربية إلا حديثاً، فبالبحث المتأني في معاجمنا إذ لايعدو الشرح على أن تكون الهوية مستقاة من الفعل (هوى) أي يسقط من اعلى، أو أن يكون معناها البئر البعيد القعر. وان بداية انتشار مفهوم الهوية يعود إلى الفكر العربي الحديث مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، في غمار الترجمات التي بدأت تتراكم، ومع بداية استخدام مصطلح (الجامعة العربية) لدى أديب اسحاق، ويشير إلى أن أول من أستخدم مصطلح الهوية هو سلامة موسى نقلها عن إبراهيم اليازجي، وهو واحد من منظومة المصطلحات (الحرية، والأمة، والقومية، والمساواة، والوطن، والوطنية، والثورة.. إلخ)، التي شارك سلامة موسى في التعريف بها، إذ كانت تعبر عن ديناميكية الحراك الاجتماعي في الغرب، وحركة الصعود المجتمعي غير المسبوقة، خاصة بعد ظهور الدول القومية والحدود السياسية الفاصلة بين الدول.
وعبر عدد من الباحثين عن صعوبة تحديد مفهوم الهوية، وارتبطت هذه الصعوبات لأن لفظة (الهوية) "حمالة أوجه"، فهي تقال على معان عدة، كما أنها شهدت تغيراً طرأ على معناها فلم تعد منذ انبلاج العصر الحديث ترتبط بدلالات انطولوجيه بل اضحت مفهوما ابستمولوجيا وانتروبولوجيا، كما ان التطور الدلالى لها اعطاه البعد الاجتماعي، فالهويات تكتسب عبر التنشئة الاجتماعية، وهى تنتج ويعاد انتاجها خلال التفاعل السوسيولوجي
كما ترتبط بالهوية موضوعات عديدة بدرجة عاليه من التعقيد لما تتضمنه الهوية من تشعبات داخليه يثيرمنها مزيداً من التساؤلات.وتتداخل هنا الافتراضات المختلفة حول اي المقومات،عرقيه، دينية، لغويه، اثنيه ومواطنه لها شرعية تشكيل هوية ما وكذلك ايضا فان الاختلاف فى مقارنة مفهوم الهوية يتعدد ايضا باختلاف الفروع المعرفية التى تتم مقارنتها وفقا (الفلسفة، المنطق، التاريخ، علم اجتماع،علم نفس، سياسه، انتروبولوجيه-وغيرها)
ويعرف المفكر الفرنسي اليكس ميكشيللى، الهوية بأنها: منظومة متكامله من المعطيات المادية والنفسيه والمعنويه والاجتماعيه تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخليه التي تنطوى على خاصية الاحساس بالهوية والشعور بها. فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمراريه والتمايز والديمومه والجهد المركزي.وهذا يعنى ان الهوية هي وحدة من العناصر الماديه والنفسيه المتكاملة التى تجعل الشخص يتمايز مما سواه ويشعر بوحدته الذاتيه.
ويرى سعد الدين ان الهوية تنطوي في الاساس على معاني رمزية وروحية وحضارية جماعية تعطى الفرد الاحساس بالانتماء الى جسم اكبر، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسم الاكبر.
ويشير عبد الحافظ للهويه بارتباطها بالمعاصرة، حيث يشير إلى ان الهوية هى مجموعة القيم والعناصر والسمات التى تجمعت عبر العيش فى مكان وزمان واحد، ورسخت الى حد ما، بعد ان تفاعلت فيما بينها، وتفتق عنها شكل أخير وليس نهائي، وهو ما يميز مجموعة اجتماعية ما، تشعر فيما بينها بشرف هذا الانتماء.والموقف من الهوية موقف معاصر يرتبط بوجودنا وخياراتنا ومصالحنا الآنيه.
ويجمع حليم بركات بين وعي الذات والسمات والمصالح المشتركه وغيرها من العناصر في تعريفه، الذي ستعتمد عليه الورقه الحاليه، حيث يشير بأن "الهوية هي وعي الذات والمصير التاريخي الواحد، من موقع الحيز المادى والروحى الذى يشغله فى البنيه الاجتماعيه، وبفعل السمات والمصالح المشتركه التي تحدد توجهات الناس واهدافهم لانفسهم ولغيرهم، وتدفعهم إلى العمل معا في تثبيت وجودهم والمحافظه على منجزاتهم وتحسين وضعهم وموقعهم في التاريخ، الهوية من حيث كونها امراً موضوعياً وذاتياً معاً، وهي وعي الانسان واحساسه بانتمائه الى مجتمع أو أمه أو جماعة أو طبقة في اطار الانسانى العام.انها معرفتنا، واين نحن، ومن اين اتينا وإلى اين نمضى، وبما نريد لأنفسنا وللاخرين، ونمضى بموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمه.
المواطنة:
هى الإطار الفكري لمجموعة المبادئ الحاكمة لعلاقات الفرد بالنظام الديمقراطي في المجتمع ، والتي تجعل للإنجاز الوطني روحا في تكوين الحس الاجتماعي والانتماء ، بما يسمو بإدارة الفرد للعمل الوطني فوق حدود الواجب ،مع الشعور بالمسئولية لتحقيق رموز الكفاءة والمكانة لمجتمعة في عالم الغد.
الوطنية والمواطنة
من المسلمات المتفق عليها أن الوطنية شعور والوطنية ممارسة، والوطنية حب ووفاء بينما المواطنة قبول (برضا أو تبرم) والوطنية حرارة وانفعال وجداني، أما المواطنة فهي سلوك وتصرفات، والوطنية ارتباط عاطفي بالأرض والمجتمع، بينما المواطنة ارتباط عملي، والوطنية حس قلبي ضميري داخلي، أما المواطنة فهي سلوك فعلي ظاهري،والوطنية لا تعدد فيها ولا تبدل، أما المواطنة فهي تكيف ومرونة، أي أن الوطنية نتيجة لواقع، بينما المواطنة وسيلة لهدف.
ومن المتفق عليه أيضا أن الوطنية هي محصلة للمواطنة، فلا وطنية جيدة، بدون مواطنة جيدة،لكن المواطنة يمكن أن تتم دون وطنية فالوطنية ذات صلة بالتاريخ والهوية، أما المواطنة فهي التناغم والإيقاع الحياتي اليومي وتعرف الموسوعة العربية العالمية الوطنية بأنها تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن، ويوحي هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة وهكذا تشير الوطنية إلى مشاعر الحب والولاء التي تكمن في الانتماء للوطن، حب للبلد، وللأرض، وللشعب، وفخر بالتراث والحضارة، وتتجلى مظاهرها في الالتزام بالحقوق والواجبات، واحترام القوانين السائدة في الوطن والتوحد معه والعمل على حمايته، والدفاع عنه وقت الأزمات بكل غال ونفيس، حرصا على تماسكه، ووحدته، واستمرارية بقائه وسلامته، وعملا على نمائه وتقدمه وأما المواطنة فيرى الباحث أنها تستوعب وجود علاقة بين الوطن والمواطن، وأنها تقوم على الكفاءة الاجتماعية والسياسية للفرد كما تستلزم المواطنة الفاعلة توافر صفات أساسية في المواطن تجعل منه شخصية مؤثرة في الحياة العامة،وقادرة على المشاركة في اتخاذ القرارات ويمكن القول بأن صفة الوطنية أكثر عمقا من صفة المواطنة، أو أنها أعلى درجات المواطنة، فالفرد يكتسب صفة المواطنة بمجرد انتسابه إلى جماعة أو لدولة معينة، ولكنه لا يكتسب صفة الوطنية إلا بالعمل والفعل لصالح هذه الجماعة أو الدولة، وتصبح المصلحة العامة لديه أهم من مصلحته الخاصة.
مظاهر الانتماء للوطن:
1- التضحية من أجل الوطن.
2- القيام بالواجب المطلوب على أكمل وجه.

3- القيام بالأعمال التطوعية والخيرية بكافة أنواعها.
4- المحافظة على اللغة الرئيسية.
5- المحافظة على اللبس والزي الشعبي
6- طريقة الأكل، والتحدث مع الآخرين.
7- المحافظة على العادات والتقاليد التي يرضى عنها المجتمع.
8- التكامل والتعاون داخل الأسـرة الواحدة
الوضع المأمول بالنسبة لتنمية الانتماء لدى الطفل:
قبل تناول دور الاعلام هناك العديد من المؤسسات التى يتعرض لها الطفل خلال مراحل حياته المختلفة والتى ينبغى ان تعمل بالتعاون وجنبا الى جنب مع المؤسسات الاعلامية وهذه المؤسسات هى:
الاسـرة
الحضانة والمدرسة
دور العبادة
اولا: دور الأسـرة
الأسـرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل. فهي محيطه الأول منذ إطلالته الأولى على هذا العالم. كان مولودا ضعيفا فهي تحميه وترعاه وتشبع حاجاته البيولوجية والنفسية وتتدرج معه في هذا الوضع إلى أن يصبح قادرا على التوافق مع مطالب المجتمع وقيمه ، فهي الأداة الوحيدة تقريبا التي تمد الطفل بالمهارات والاتجاهات والقيم السائدة في مجتمعه ، ومنها يستطيع تمييز الصواب عن الخطأ. ويرى بستالوزي أن " الأسـرة هي مصدر كل تربية صحيحة يتأثر بها الطفل "
والاسـرة منظمة اجتماعية تتميز عن المنظمات الأخرى ببعض الخصائص التي تجعل منها نظاما اجتماعيا مستقلا ذات صفات فريده ويمكن تلخيص أسباب احتفاظ الأسـرة بدورها الرئيسي في التنشئة الاجتماعية للطفل فيما يلي:
1) أنها المؤسسة الأولى التي ينشأ فيها الطفل وهي التي تشكل طبيعته الاجتماعية وتشكل أفكاره وبناء شخصيته
2) أنها حجر الزاوية في البناء الاجتماعي فإذا صلحت الأسـرة صلحت بقية النظم الاجتماعية في المجتمع
3) أنها المؤسسة الأولى التي تنقل للطفل الميراث الثقافي للمجتمع يمكن للأسـرة أن تقوم بدورها في تربية الأطفال على الوطنية والمواطنة من خلال ما يلي:
1- إعداد الأطفال لأن يكونوا مواطنين صالحين متمسكين بعقيدتهم
2-اغتنام كل فرصة للحديث المباشر مع الأبناء حول مقومات المواطنة الصالحة وتنشئة الأبناء على العادات الصحيحة للمواطن المخلص لوطنه، واحترام قواعد وأنظمة الأمن والسلامة، وأن يبينوا لهم بالأمثلة والشواهد المقربة إلى عقولهم بأن هذه الأنظمة والقوانين إنما وضعت لحفظ سلامتنا والحفاظ على مصالحنا وحقوقنا ولتيسير شؤوننا الحياتية.
3- غرس حب الوطن في نفوس الأطفال ليزدادوا اعتزازا به مع العمل من أجل تقدمه وإعلاء شانه والذود عنه.
4- التعريف بصـروح الوطن بأخذ الأطفال في جولات تشمل المواقع التاريخية والتراثية، مع سـرد قصة كل موقع منها.
5- تعزيز ثقافة الحوار والمشاركة والتسامح مع الاختلاف
6- إكساب الطفل المهارات التي تمكنه من أن:
أ- ينتمي لوطنه.
ب- يقدر المصلحة العامة ويقدمها على مصلحته الخاصة، ويضحي من أجل الصالح العام.
ج- يعمل بـروح الفريق، ويمارس العمل الجماعي التطوعي.
د- يتحمل المسؤولية، ويمارس الأساليب العقلانية في الحوار.
هـ- يؤدي واجباته، ويتمسك بحقوقه، ويؤمن بمبادئ العدالة الاجتماعية
و- يتحلى بالخلق الرفيع ويتأدب بآداب الحوار، ويحترم آراء الآخرين
ز- يمارس النقد الذاتي، ويشارك في اتخاذ القرار ثانيا: دورالحضانة والمدرسة
1- الحضانة:
لا أحد ينكر اهمية الخمس سنوات الأولى من عمر الطفل عن باقي المراحل العمرية في تكوين الاساس الذي يبني عليه جميع الخصائص الشخصية اللاحقة ، ففيها يتم تشكيل شخصية الطفل ووضع البذور الأولى لبنائه وغرس التقاليد ومن هنا بـرز الاهتمام بدور الحضانه ورياض الاطفال في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية ومن أهم العوامل التي ساهمت في ظهور دورة الحضانه:
خروج المرأة إلى ميدان التعليم والتعلم
ضيق المساحات المخصصة للعب في الشقق السكنية حيث لا يتاح للطفل ممارسة رغبته في البحث والتنقيب والتجريب
ويتسنى له ذلك في دور الحضانه وهي بالطبع لن تحل محل البيت لأن الاطفال لا يقضون فيها إلا ساعات قليلة إلا انها توفر لهم بالإضافة إلى جماعة الرفاق أول فرصة يختلطون فيها معا خارج بيوتهم بعيدا عن مراقبة الأمهات.وتعمل دور الحضانه على تصحيح الكثير من الأخطاء التي يقع فيها الوالدات وتعوض الطفل مما يحرم منه بالضـرورة.
أهداف دور الحضانة:
صيانة فطرة الطفل ورعايته ونموه الخلقي والعقلي والجسمي في ظروف طبيعة سوية لجو الأسـرة
أخذ الطفل بآداب السلوك وتيسير امتصاصه للفضائل والاتجاهات الصالحة بوجود أسوة حسنه وقدوة محببة امام الطفل
ايلاف الطفل الجو المدرسي وتهيئته للحياة المدرسية ونقله بـرفق من " الذاتية المركزية" إلى الحياة الاجتماعية المشتركة
تزويده بثروة من التعابير الصحيحة والأساسية الميسـرة والمعلومات المناسبة لسنه والمتصلة بما يحيط به.
تدريب الطفل على المهارات الحركية وتعويده العادات الصحيحة وتربية حواسه وتمرينه على حسن استخدامها.
تشجيع نشاطه الابتكاري وتعهد ذوقه الجمالي.
الوفاء بحاجات الطفوله واسعاد الطفل وتهذيبه في غير تدليل ولا إرهاق.
التيقظ لحماية الطفل من الأخطار وعلاج بوادر السلوك غير السوي لديهم وحسن المواجهة لمشكلات الطفولة.
من هذا المنطلق يتضح لنا أن دور الحضانه لها أهمية كبيرة في صنع شخصية الطفل فهي تنميها وتبـرز مكوناتها وتشكلها وتنمي مهاراته اللغوية واتجاهاته الايجابية نحو المدرسة والوطن وهي في ذلك تلعب دورا كاملا ومتعاونا مع الأسـرة في هذه المجالات.
مقترحات لغرس قيم المواطنة والانتماء فى دور الحضانة:
1-توفير مركز بناء خاص بكل قاعة داخل الروضة يسهم في تنمية مهارات الأطفال بصورة واضحة ويثري حصيلتهم اللغوية.
2-الاهتمام بالقصص التاريخية والتراث الشعبي في تنمية قيم المواطنة لدى الطفل.
3-ألعاب البناء وسيلة تعليمية فعالة تساعد المعلمة في تقديم العديد من الأنشطة ويمكن لمعلمين التاريخ أن يستعينوا بألعاب البناء في إقامة المشروعات الخاصة بمادة التاريخ.
4-أن يتحلى كلا من المعلمة والآباء والأمهات بقيم المواطنة الصالحة تتيح للأطفال الفرصة لمشاهدة القدوة الصالحة.
5-أن نقدم للمعلمات بـرامج توضح كيفية غرس قيم المواطنة في نفوس الأطفال وتنميتها.
6-اهتمام القائمين بوضع المناهج بالأخذ بأسلوب اللعب والعمل والأنشطة التي تثير فضول ودهشة الطفل للتعلم بدلا من الحفظ والتكرار.
7-كتابة بعض القصص التاريخية لأطفال الروضة حتى يسهل على المعلمة تقديمها للأطفال.
2- المدرسة:
لقد تطور مفهوم المدرسة في العالم العربي من التعليم إلى التعليم والتربية بمعنى أن تكون المدرسة مصدر مفاهيم وقيم وثقافة عامة إضافة إلى دورها التعليمي العادي، لكن هذا المفهوم لم يتحقق بصورة جيدة،بل كان متعثرا في كثير من الأحيان إما لأسباب تتعلق بالرؤية الثقافية والتربوية المفترضة للمدرسة أو لأسباب مادية كقلة الإمكانيات أو ضعفها أو لأسباب فنية وإدارية كنوعية المدرس ومستواه وأدواته التعليمية.الحصيلة العامة لتأثير المدرسة في الجانب الثقافي محدود وهو في مجمله ينحصـر في الجانب المعرفي التعليمي.إن التعليم في العالم العربي يعتمد إجمالا أسلوب التلقين والذي يقتل ملكة الإبداع والتفكير العلمي الصحيح فضلا عن إضعافه لقدرة التعلم الذاتي للطفل.

ان تأثير المدرسة يرتبط بشكل كبير بالمدرس وشخصيته وثقافته ومدى تفاعلة مع الصغار وانقيادهم له. بالطبع للمنهج دور في تربية الطفل لكنه غالبا مايرتبط ببيئة المدرسة والمدرسون بشكل خاص لأن العملية قد تقتصر على حفظ متون أو ترديد كلمات دون استيعاب حقيقي وتقبل ذاتي وممارسة واقعية. ويمكن تصنيف تأثير المدرسة على الطفل بأنه يتفاوت بين المتدني والمتوسط.

ويمكن أن تحقق المدرسة تربية الأطفال على الوطنية والمواطنة من خلال ما يلي:

أ-العمل على تعزيز الوطنية والمواطنة في نفوس الأطفال عن طريق:

1- تزويد الأطفال بالمهارات اللازمة لفهم الحقوق والواجبات، والحقوق تشمل كل ما يكفله الوطن لهم من حقوقهم في مدرستهم ودائرتهم التي يعيشون فيها

أما واجبات المواطن التي يجب أن يفهمها كل طالب ويؤديها على وجهها الأكمل فتشمل أمورا منها:

تحمل المسؤولية المشتركة، والمشاركة في صنع القرار بالطرق المدنية التي تقرها أنظمة الدولة، ليشعر أن رأيه مسموع، وأن قدراته مستفاد منها

- تبصيره بطرق الحوار ووسائل إبداء الرأي

- تعويده التعامل مع وجهات النظر المخالفة وسبل حل الخلافات في الرأي أو في المصالح

- المشاركة في تطبيق النظام، بحيث يرشد الطالب إلى أهمية القيام بسلوك المواطنة، وأهمية المسؤولية الفردية، وضرورة أن يبدأ بنفسه قبل الآخرين، كما يمكن تزويد الطالب بالأساليب التي يمكن أن يتخذها عند رؤية من يخالف النظام، بحيث يشعر الطالب بأن أي مخالفة للنظام في أي مكان ولو كانت صغيرة هي خروج على الجماعة ولو بشكل يسير، وأن هذا الخروج قد يهدد النظام على المدى البعيد حال التساهل به.

- المشاركة في تقويم من يخرج على النظام بالطرق المشروعة، بحيث يزود الطالب ويدرب على أساليب تناسبه، وتلائم البيئة المدرسية، وتساعد على تنفيره من مخالفة سلوك المواطنة، وبالتأكيد فإن على المدرسة ضرورة تدريب الطلاب عمليا على حفظ النظام داخل الفصول وداخل المدرسة

2- تعويد الأطفال على التعايش والتعاون مع الآخرين

3- تربية الأطفال على الشورى: وهذه التربية تعمل على تنمية قيم التسامح والحوار وتقبل وجهات نظر الآخرين، وطاعة قرارات الأغلبية، وغيرها من القيم والمهارات التي لا بد أن يكتسبها الطفل لكي يستطيع التفاعل مع الآخرين في الأسرة، والمدرسة والمجتمع

4-تربية الأطفال على السلام: وتهدف التربية على السلام بصفة عامة إلى تعليم القواعد الضرورية للعلاقة المنسجمة والسليمة بين الأمم والناس، وتشجيع الاحترام الكامل لحقوق الإنسان وحرياته، واحترام الحق في التطور والتنمية وتشجيعه، واحترام حرية أي فرد في التعبير، والحصول على المعلومات والتفاوض من أجل حسم الصراعات، والتمسك بمبادئ: الحرية والعدالة، والتسامح، والتعاون، والتعدد الثقافي، والحوار

ب-أن تعمل المدرسة على تحسين تعلم الوطنية والمواطنة:

حيث يمكن للمدرسة أن تعمل على تحسين تعلم الوطنية والمواطنة من خلال:

المناخ المدرسي، والمقررات الدراسية، وأسلوب وأداء المعلم، وطرائق التدريس، والأنشطة المدرسية.

1- حيث ينبغي تهيئة المناخ المدرسي المناسب الذي يسمح بتعلم وتدريس مفاهيم التربية الوطنية، ويتيح المجال لمشاركة الطلاب والمعلمين في الأنشطة المختلفة، فالعمل الجماعي والتعاون يسهل العملية التعليمية التي يقوم بها المعلمون، وتزداد فاعليتهم وأداؤهم عندما تتوفر مختلف لوازم التعليم، وتقدم الإمكانات المختلفة، وتنفتح المدرسة على الخارج، ولقد وجد أن المدرسة التي تسود فيها مبادئ الشورى والاحترام المتبادل للآراء والذات الفردية، وترسيخ العلاقات الإنسانية الإيجابية وغيرها تؤدي إلى ترسيخ قيم التماسك الاجتماعي وانتماء وولاء الفرد لوطنه

2- أن تهتم المقررات الدراسية وخاصة مقررات الدراسات الاجتماعية، والنصوص، والقراءة، والتعبير، بإكساب التلاميذ الهوية الوطنية، وتؤكد فيها على ارتباط الطالب بوطنه أرضا، وتاريخيا، وبشرا، وتستثير لديه مشاعر الفخر بالانتساب لوطنه وتغذي فيه الاستعداد للتضحية في سبيله بالنفس والنفيس، وأن تكون هذه المقررات ذات تأثير إيجابي نحو الانتماء

3- من أجل تعليم ناجح للمواطنة يجب الاهتمام بالمعلم الذي لا يزال عنصراً فعالاً في العملية التعليمية، ليس باعتباره حاملاً للمعرفة التي يجب أن يكتسبها الطلاب عن وطنهم وقضاياه، بل لأنه يمثل نموذجا للمواطن الذي سوف يحتذي به الطلاب في طريقهم ليكونوا مواطنين صالحين

4- ضرورة تنويع أساليب وطرائق تعليم التربية الوطنية لتشمل: برامج تدريبية، وورشا للعصف الذهني والتوعية وزيارات ميدانية، ويجب التركيز على الزيارات الميدانية ؛ لأن تعليم الوطنية والمواطنة لا يتحقق على النحو الأمثل إلا في المواقف العملية ومن خلال علاقة المدرسة بمختلف مؤسسات المجتمع المدني والبيئة الخارجية فهناك ميادين كثيرة إذا استغلت بشكل جيد من المدرسة أمكن رفع أداء المعلمين والطلاب مثل الاشتراك في الأندية الرياضية والاجتماعية، والانتخاب والترشيح، والمشاركة في حماية البيئة والمحافظة عليها وغيرها

5- يمكن للأنشطة المدرسية أن تؤدي دورا كبيرا في تحسين تعلم الوطنية والمواطنة وحتى تؤدي هذا الدور على الوجه الأكمل يجب العمل على:

تنويع برامج الأنشطة المدرسية لتشمل برامج تربوية اجتماعية وثقافية وبيئية وكشفية وسياحية

-عقد ندوات واجتماعات مدرسية، يتم فيها دعوة كبار المسؤولين من مجالات متخصصة مختلفة،، لمناقشة الطلاب في قضايا الوطن

استغلال الأنشطة البدنية والرياضية في تنمية المعارف والمهارات التي تمكن الطلاب من تطوير قدراتهم الاجتماعية مثل العمل ضمن فريق والتضامن والتسامح، والروح الرياضية.

الوضع المأمول بالنسبة للاعلام فى تنمية الانتماء لدى الطفل:

الاعلام الحقيقي هو الإعلام الذي يساهم في تنمية الحس الوطني والديمقراطي لدى عامة أفراد المجتمع من خلال تمثيله للمجتمع تمثيلا حقيقيا دون تزييف فيكون مرآة تعكس صورة المجتمع وقيمه وأفكاره ويعبر عن هموم المواطن ليكون لسان حال المجتمع ، وان يرتقي إلى مكانته الحقيقية كسلطة رابعة ، وعلى الأعلام الجاد والرصين أن يعزز دوره في بناء أرادة المجتمع وتنمية حسه الوطني من خلال خلق برامج تنموية فاعلة تأثر إيجابا على تفكير الناس وتعاملهم مع بعضهم البعض. ويحتاج الشباب إلى برامج توعية حول أنماط السلوك الديمقراطي والإحساس الوطني في المجتمع، وهذا يعتمد على تغيير التصورات الخاطئه التي يعيشها الفرد في عقله نتيجة لتراكمات مفاهيم المجتمع المغلوطة.

المصادر والمراجع

حسن محمد الكحلانى، الهوية الثقافية العربية: مبادئ اولية حول ترسيخ الانتماء ودعم مقومات الهوية العربية.
حفيظ بن عيسة الراجحى، دور الاعلام فى تنشئة الاجيال.
حليم بـركات، المجتمع العربي في القرن العشرين. بحث متغيرات الاحوال والعلاقات،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،2000.
حيدر إبـراهيم على، العولمة وجدل الهوية، مركز الدراسات السودانية، سلسلة الثقافة السياسية، ط1، القاهرة 2001.
خلدون النقيب، المشكل التربوي والثورة الصامتة، مجله المستقبل العربى، بيروت 1993.
سعد الدين إبـراهيم، التعصب والتحدي الجديد للتربية في الوطن العربي، في: الأطفال والتعصب والتربية، الكتاب السنوي السادس، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1989.
صلاح عبد السميع عبد الرازق، البناء النفسي والوجداني للطفل(البعد الغائب في مناهج التعليم بالعالم العربي).
عبد الهادي الجوهري، العولمة والانتماء الوطني (حالة مصـر) في العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ابو ظبي، 2002.
عدنان ابو ناصـر مسـرح الدمى ودوره في إكساب القيم التربوية للأطفال، مجلة المعرفة السورية، العدد 481، ص(90-100) وزارة الثقافة، دمشق2003.
على اسعد وطفه، اشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصـرة، مجله المستقبل العربي،مركز دراسات الوحدة العربيه، العدد(282) اغسطس 2000، بيروت.
علي حرب، صدمه العولمه في خطاب النخبة حول الهوية، فى العولمة والهوية الثقافيه، سلسلة ابحاث المؤتمرات 12-16/4/1998، المجلد السابع، المجلس الاعلى للثقافه،القاهرة،1998
فالح عبد الجبار، معنى العولمة، في العولمة والهوية الثقافية، سلسلة أبحاث المؤتمرات المجلد (7)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998
فتحي المسكيني، الهوية والزمان تأويلات فينولوجية لمسألة النحن،دار الطليعه، بيروت،2001
قاسم حجاج، العولمة والتنشئة السياسية في السياسة الدوليه، مؤسسة الاهرام-العدد(159)،القاهرة يناير 2005
مالك ابـراهيم الاحمد. دور الإعلام في تربية الأطفال
محمد أبو فودة. الانتماء الوطني 2007
محمد عباس عرابى. دور الأسـرة والمدرسة في تنمية الوطنية والمواطنة في نفوس الأطفال.
محمد عبده الزغير،تعزيز الهوية والانتماء لدى الأطفال والشباب العرب
محمد محمود رضوان وآخرون (1974) أدب الأطفال، القاهرة.
مصطفى الطالب،سينما الطفل اى واقع
مصطفى حجازي، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والاصالة(سلسلة ثقافتنا القوميه)،العدد(2)،المجلس القومى للثقافة العربية،الرباط،1988.
ناجي الغزي الحوار المتمدن، 2006 دور الاعلام فى تنمية الحس الوطنى العدد: 1759
هدى القاعي،إدمان الإنترنت
صالح أبو أصبع، 1999، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصـرة، عمّان، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، ط 3.
جيمس هالوران، 1979، أضواء على التلفاز وآثاره، مجلة اليونسكو، العدد 214، مايو 1979.
جريدة الخليج، الشارقة، 7 مارس 1984.
جريدة الاتحاد الأسبوعي، أبو ظبي، 2 فبـراير 1984.
أحمد، أحمد جوهر (2004م). الإعلام الإلكتروني: واقع وآفاق، مصـر، المنصورة: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
تشارلز، سالمون، وجون بالسـر (1417هـ). الرأي العام والإعلام: صناعة الرضا الجماهيري، ترجمة عثمان العربي، الرياض: دار الشبل.
جامعة الإمارات العربية المتحدة (1996م). مدارس الغد: أسس تصميم مدارس التنمية المهنية، تقرير مجموعة هولمز، ترجمة عبدالله علي يونس أبو لبدة، العين: كلية التربية (لجنة التعريب والتأليف والترجمة والنشر)، جامعة الإمارات العربية المتحدة.
حارب، سعيد عبدالله (2003م). التحديات التي تواجه التربية في ضوء المتغيرات العالمية المعاصـرة، محاضـرة ألقيت بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
حبيب، مجدي عبدالكريم (2003م). تعليم التفكير في عصـر المعلومات: المدخل، المفاهيم، المفاتيح، النظريات، البـرامج، القاهرة: دار الفكر العربي.
حسان، حسان محمد وآخرون (1987م). مقدمة في فلسفات التربية، القاهرة: مكتبة مدبولي.
حمدان، محمد (2004م). العلاقة بين الإعلام والتربية في الوطن العربي: أية إشكاليات؟ أي مستقبل؟، ورقة مقدمة إلى ندوة معهد الصحافة وعلوم الأخبار بتونس خلال الفترة 51-71 ابـريل 2004م.
خضور، أديب (2003). الإعلام الأمني، دمشق: مطبعة النسـر.
الخطيب، محمد بن شحات، وآخرون (2004م). أصول التربية الإسلامية، الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع.
ديلور، جاك وآخرون (1996م). التعلم ذلك الكنز المكنون، تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، باريس: اليونسكو.
زيتون، حسن، حسين (2005). تعليم التفكير، القاهرة: عالم الكتب.
سالم، أحمد، وعادل سـرايا (2003م). منظومة تكنولوجيا التعليم، الرياض: مكتبة الرشد.
سليمان، أحمد (1991م). الإذاعة المدرسية للمرحلتين المتوسطة والثانوية، الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع.
شحاته، حسن (2003م). معجم المصطلحات التربوية والنفسية، القاهرة: الدار المصـرية اللبنانية.
شحاته، حسن (1997م). النشاط المدرسي: مفهومه، وظائفه، مجالات تطبيقه، القاهرة: الدار المصـرية اللبنانية.
الصاوي، أمينة، وعبدالعزيز شرف (1998م). نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية، القاهرة: مكتبة مصـر.
العلي، أحمد عبدالله (2002م). الطفل والتربية الثقافية: رؤية مستقبلية للقرن الحادي والعشرين، القاهرة: دار الكتاب الحديث.
العويني، محمد علي (1983م). الإعلام الإسلامي الدولي: بين النظرية والتطبيق، العين: دار كاظم.
متولي، مصطفى محمد (2004م). مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع.
مكاوي، حسن عماد (2005م). الإعلام ومعالجة الأزمات، القاهرة: الدار المصـرية اللبنانية.